

الإدمان على المسكر

سبل الوقاية والعلاج

أبحاث الندوة العلمية الثانية

١٩٥٦



الإدمان على المُسكر

سبل الوقاية والعلاج

أبحاث الندوة العلمية الثانية

المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب

الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٣	● المقدمة :
	● البحث الأول : « تعريف الكحول » ..
٦	- مقدمة ..
٦	- تعريف الكحول ..
٦	- الكحولات ..
٨	- وجود الكحول ومصادره ..
٨	- طرق تحضير الكحول ..
١٢	- يئنة الكحول ..
١٢	- الكحول المسوخ أو المغيرة طبيعته ..
١٢	- استعمالات الكحول ..
١٤	- المراجع العلمية ..
	● البحث الثاني : « تعريف الإدمان على المسكر » ..
١٦	- مقدمة ..
١٧	- تعريف الإدمان على الكحول ..
١٧	- عوامل اختلاف درجة الإدمان عند الأشخاص على المسكر ..
١٩	- مراحل الإدمان ..
٢٠	- الأمراض النفسية الناتجة عن الإدمان ..
٢١	- المراجع العربية والأجنبية ..

● البحث الثالث : « الأسباب المؤدية إلى تعاطى الكحول والإدمان عليه » ..

- ٢٤ - مقدمة ..
- ٢٥ - التعاريف ..
- ٢٦ - فئات متعاطي الكحول ..
- ٢٧ - مراحل السكر والإدمان وأعراضها ..
- ٢٧ (أ) مراحل السكر ..
- ٢٨ (ب) مراحل الإدمان ..
- ٢٩ - من هو المدمن على الكحول ؟ .. وهل يمكن التعرف عليه بسهولة ؟
- ٣٠ - أسباب تعاطى الكحول والإدمان ..
- ٣٢ - فرضيات الأسباب الأصلية ..
- ٣٣ - فرضيات الأسباب المساعدة ..
- ٣٥ - المراجع العربية والأجنبية ..

● البحث الرابع : « الإدمان على الكحول - سبل الوقاية والعلاج » ..

- ٣٨ - مقدمة ..
- ٣٩ - تحديد المفاهيم ..
- ٤٤ - حجم المشكلة وتواتر حدوث الإدمان ..
- ٤٧ - الآثار العامة للسكر ..
- ٤٩ - الجوانب المختلفة للإدمان ..
- ٥٠ - المفاهيم والتصورات النظرية لمشكلة الإدمان الكحولي ..
- ٥٢ - الثقافات الفردية والجماعات ..
- ٥٤ - البناء الطبقي ..

- ٥٥ - مفهوم التصور الذاتي ..
- ٥٦ - صور السلوك الإجرامى ..
- ٥٦ - الحضرية ..
- ٥٧ - الحراك الإجتماعى ..
- ٥٩ - أساليب العلاج ..
- ٦١ - الأساليب والتدابير الوقائية ..
- ٦٢ - وسائل علاجية مساعدة ..
- ٦٩ - وسائط التربية الإسلامية ..
- ٧٠ - توصيات العلاج والوقاية من الإدمان ..
- البحث الخامس: «أساليب الشريعة الإسلامية في مكافحة تعاطى المسكرات» ..
- ٧٤ - مقدمة ..
- ٧٤ - الخمر في اللغة ..
- ٧٥ - أساليب الشريعة الإسلامية في مكافحة تعاطى المسكرات ..
- الإجراءات المتعين - على السلطات المختصة - اتخاذها في مختلف الدول الإسلامية ..
- ٨٥
- ٨٧ - أهم المراجع ..
- البحث السادس: «علاج الإدمان على المسكر» ..
- ٩٢ - مقدمة ..
- ٩٢ - الأضرار الناجمة عن الإدمان على الكحول ..
- ٩٦ - علاج المدمن على الكحول ..
- ٩٦ ١ - التقييم المبدئى ..

- ٩٧ ٢ - طرق السيطرة والعلاج للأعراض الإنسحابية ..
- ٩٨ - مراحل الأعراض الإنسحابية ..
- ١٠٠ - الأدوية المهدئة أو المطمئنة المستعملة في علاج الأعراض
الإنسحابية للكحول ..
- ١٠٥ ● المراجع :
- ١٠٦ ● الملحقات :

محتويات الكتاب

أولاً - الفهارس

ثانياً - المقدمة

ثالثاً - البحوث

رابعاً - الملحقات

البحث الأول : تعريف الكحول

الدكتور/ فريد جلال المهتمدى

البحث الثانى : تعريف الإدمان على المسكر

الدكتور/ محمد عبد الرحمن إسماعيل

البحث الثالث : الأسباب المؤدية إلى تعاطى الكحول والإدمان عليه

الدكتور/ عطا الخالدى

البحث الرابع : الإدمان على الكحول ، سبل الوقاية والعلاج

الأستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهري د محمود أبو زيد

البحث الخامس : أساليب الشريعة الإسلامية فى مكافحة تعاطى المسكرات

الدكتور/ عبد الله العلى الركبان

البحث السادس : سبل علاج الإدمان على المسكر

الدكتور/ عبد الرحمن عبد الله المطرفى

المقدمة

كان الحديث في الماضي ينصب على أخطار استعمال المسكرات والمخدرات ، ولقد ابتليت بلادنا الإسلامية والعربية بظروف بات فيها تناول المشروبات الكحولية غطاً سلوكياً مقبولاً إجتماعياً، ومما ساعد على تفشي هذا الوضع المؤسف: التسلط الأجنبي على الأمة الإسلامية والعربية سواءً كان ذلك التسلط إحتلالاً عسكرياً، أو تسلطاً سياسياً أو اقتصادياً أو فكرياً أو ثقافياً أو كل هذا مجتمعاً وعلى الرغم من الصحوة العربية وانتفاضة الأمة على الوجود الأجنبي الدخيل إلا أن الآثار الثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية للاستعمار لازالت بقدر أو بآخر، وبشكل أو بآخر ملموسة في بلادنا اليوم

ولم يعد الحديث ينحصر في الشرب ومعاقرة الخمر، بل تعدى ذلك إلى الشكوى من وطأة الحد الأقصى للمشكلة وهي الإدمان

والمدمن أسير العادة الخبيثة، أي الذي لا يستطيع - وإن أراد - التخلص من قيدها على بدنه وعقله وخلقه وسلوكه ، وهو بهذا عبء على أسرته وجماعته وأمتة ، بل قد ينقلب إلى خطر داهم على آدابها وسلامتها العامة

فتجنب الشرب هو الأساس الوقائي الأول ومعالجة الإدمان هي بالضرورة إجراء علاجي والوقاية خير وأجدى من العلاج

وفي مضممار البحث والدراسة وتبادل الرأي عقد المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ندوته حول الإدمان على المسكر ويسره أن يقدم هنا الأبحاث المكتوبة المقدمة إلى الندوة غير أن الندوة لم تقتصر قيمتها على مجموعة تلك الأبحاث بل تعدتها إلى جملة الآراء والمواقف الناتجة عن النقاش والتبادل العلمي خلاها مما لا يمكن أن يضمها بين دفتيه كتاب

فاروق عبد الرحمن مراد

أبحاث الندوة
البحث الأول
تعريف الكحول

الكحول ALCOHOL

مقدمة:

معروف بعدة اسماء مثل الكحول Alcohol أو الكحول الايثيلي Ethyl Alcohol أو الايثانول Ethanol أو روح Spirit ويعرف ايضا باللغة العربية بكلمة غول حيث ورد ذلك في القرآن الكريم الاية (٤٧) من سورة الصافات (يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) وكلمة كحول كلمة عربية اساسها كلمة «كحل» وكانت تطلق على مسحوق دقيق من كبريتيد الانتمون Finely powdered antimony sulphide الذى حضره العلماء العرب، واستخدمته النساء لتغميق جفون العيون، وبعد ذلك اطلق العالم الاوروى برازيليس Paracelsus كلمة «كحول» العربية على السوائل التي تتطاير ، وعندما عرف الايثانول - حيث أنه من السوائل المتطايرة - اطلق عليه الكلمة ذاتها وهي الكحول

تعريف الكحول:

الكحول عبارة عن مركب كيميائى عضوى Organic سائل يشبه الماء أي: انه شفاف عديم اللون له رائحة عطرية مميزة، وطعم نفاذ لاسع يغلى عند درجة 78,3°م (الماء يغلى عند درجة 100°م) يمتزج مع الماء بجميع النسب، وهو قابل للاشتعال، ويتبع الكحول فى التقسيم الكيميائى مجموعة من المركبات المتشابهة كيميائيا تسمى الكحولات Alcohols.

الكحولات:

عبارة عن سلسلة من المركبات الكيميائية العضوية التى تشترك فى وجود مجموعة كيميائية هى مجموعة الايدروكسيل (أيد) Hydroxyl group (OH) كما

تشارك في بعض الخواص الأخرى سواء الطبيعية أو الكيميائية، فمجموعة الأيدروكسيل هذه موجودة في الماء، ولكن الماء لا يقع ضمن مجموعة الكحولات لأنه مركب غير عضوي، فالتركيب الكيميائي للماء هو H_2O أو بطريقة أخرى يد. أيد H.OH

والكحولات إما أن تحتوي على مجموعة أيدروكسيل واحدة وتسمى في هذه الحالة كحولات أولية Monohydric alcohols مثال ذلك الكحول الميثيلي Methyl alcohol وتركيبه الكيميائي ك يد_١ أيد $\text{CH}_2.\text{OH}$ - والكحول الأيثيلي (كحول) وتركيبه الكيميائي ك يد_١. ك يد_١أيد- $\text{C}_2\text{H}_5.\text{OH}$ ، أو تحتوي على مجموعتين من الأيدروكسيل وفي هذه الحالة تسمى كحولات ثنائية Dihydric alcohols مثال ذلك مركب إيثيلين جلايول Ethylene glycol

ورمزه الكيميائي ك_١ يد_٢ أيد $\text{C}_2\text{H}_4.\text{OH}$
ك يد_٢ أيد $\text{CH}_2.\text{OH}$

وقد تحتوي على ثلاثة مجاميع من الأيدروكسيل، وفي هذه الحالة تسمى كحولات ثلاثية Trihydric alcohols ومثال ذلك الجلسرين Glycerin ورمزه الكيميائي:

ك_١ يد_٣ أيد $\text{C}_3\text{H}_7.\text{OH}$
ك_١ يد أيد $\text{CH}.\text{OH}$
ك يد_٣ أيد $\text{CH}_2.\text{OH}$

والكحولات الأولى من السلسلة عبارة عن سوائل شفافة تشبه الماء، والتي بعدها زيتية القوام، أي أنها تشبه الزيوت، أما التي بعدها فهي صلبة القوام وتشبه الشموع Waxes.

وجود الكحول ومصادره:

الكحول كما أنه لا يوجد في الطبيعة، ولكنه يوجد في المشروبات الكحولية (الخمور) Alcoholic beverages بعد عملية التخمير، حيث تتراوح نسبة الكحول في هذه المشروبات من ٣٪ (الجمعه Beer) الى حوالي ٥٠٪ (الويسكى Whiskey).

ويوجد الكحول في كل من بول ودم الانسان الذى يتعاطى كمية كبيرة من المشروبات الكحولية، كما يوجد في بول مرضى السكرى Diabetic persons (نتج من عملية تخمر السكر).

ونادرا ما يوجد الكحول على هيئة مركبات استرية Esters (مركبات تتكون من اتحاد الكحولات مع الاحماض) في بعض بذور النباتات غير الناضجة Unripe seeds.

ينتج الكحول للاستخدام الصناعى او الدوائى بعدة طرق ستوضح فيما بعد.

طرق تحضير الكحول:

هنالك عدة طرق تستخدم لتحضير الكحول، بعضها لها قيمة اقتصادية وبذلك تستخدم في صناعة الكحول، وبعضها ليس لها قيمة اقتصادية وانما تستخدم على نطاق صغير في مختبرات الابحاث.

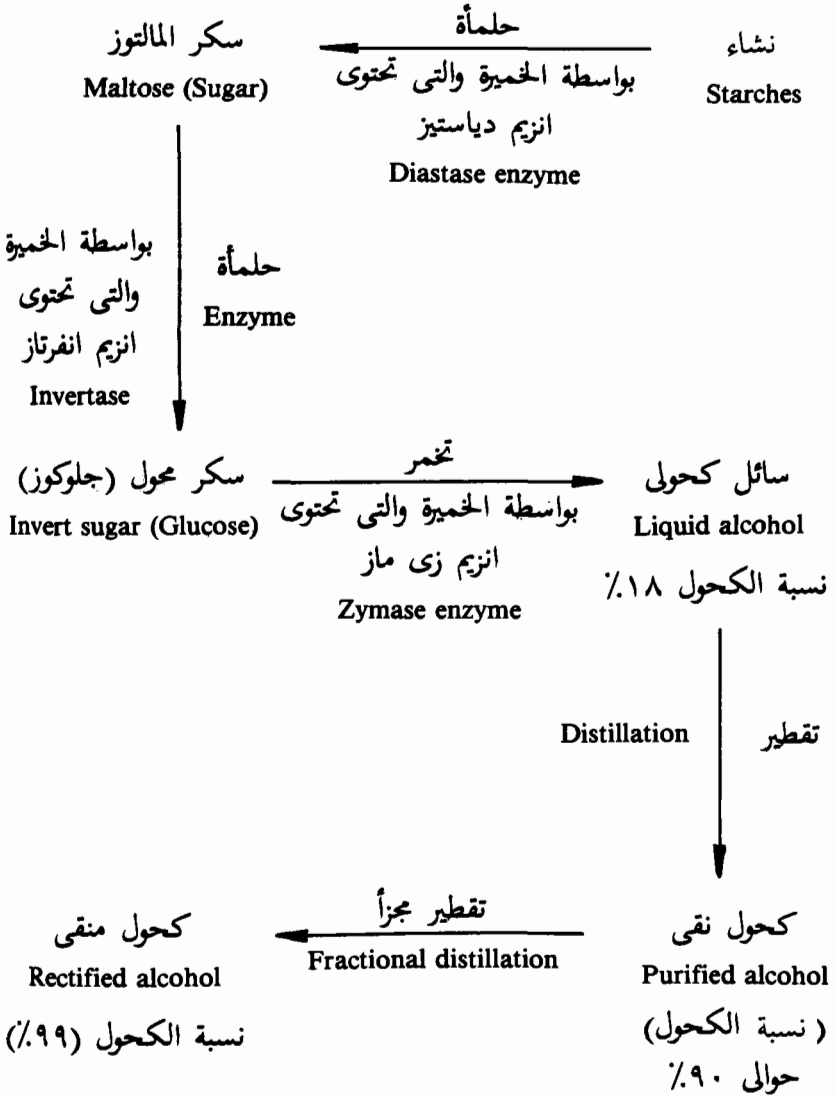
ولعل أهم طرق تحضير الكحول والتي تستخدم في الصناعة هي عملية التخمير Fermentation Process حيث يحدث تخمر للسكر بواسطة انزيمات نشطة Active enzymes موجودة في الخميرة Yeast.

ويستخدم في عملية التخمير هذه إما انواع النشاء المختلفة مثل نشا القمح Corn starch أو نشا الذرة Maize starch أو نشا الأرز Rice starch أو نشا البطاطس Potatoe starch أو قد تستخدم السكريات مثل سكر القصب Sugar cane أو سكر البنجر Sugar beet أو المولاس Molases (وهو ينتج أثناء عملية صناعة السكر)

يضاف على تلك المواد الخميرة والتي تحتوى على عدة انزيمات نشطة، وهذه الانزيمات تحلمى النشاء الى سكر ثنائى، وتحلمى السكر الثنائى الى سكر اولى قابل لعملية التخمر، حيث تخمر السكر الاولى الى الكحول، ويتصاعد غاز ثانى اوكسيد الكربون، ففى حالة استخدام اى نوع من انواع النشاء السابقة تضاف الخميرة ويقوم انزيم الدياستيز Diastase بحلماًة النشاء إلى سكر المالتوز

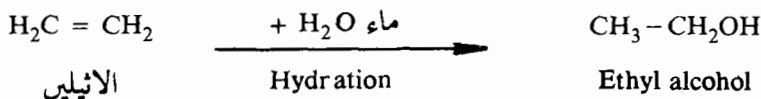
(سكر ثنائى)، ويقوم انزيم انفرتاز بتحويل المالتوز الى سكر الجلوكوز (سكر احادى قابل للتخمر)، حيث يقوم انزيم زى ماز بعملية تخمير الجلوكوز الى سائل كحولى ويتصاعد غاز ثانى اوكسيد الكربون. وفى حالة استخدام السكريات (سكر القصب او البنجر او المولاس) فان انزيم الانفرتاز يحول هذه السكريات الثنائية الى سكر الجلوكوز وسكر الفركتوز (وكلاهما سكر احادى قابل للتخمر) وتخمّر هذه بواسطة انزيم زى ماز إلى سائل كحولى وغاز ثانى أوكسيد الكربون

ويمكن تلخيص طريقة التخمير كالتالى:

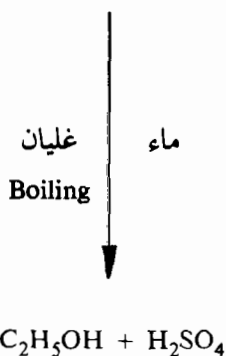
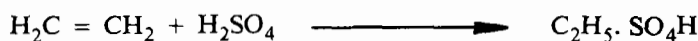


وهناك طريقة هامة ذات قيمة اقتصادية كبيرة، وتستخدم في صناعة تحضير الكحول وهي طريقة التحضير من الاثيلين Ethylene حيث ينتج هذا من البترول بكمية وفيرة أثناء عملية تكرير البترول Petroleum Refining ينتج الاثيلين كناتج ثانوى By-product.

يعامل الاثيلين إما بالماء ويتحول الى الكحول الاثيل حسب المعادلة الآتية:



او يعامل مع حامض الكبريتيك فيتكون سلفات الاثيل، وهذا يعامل بالماء فينتج الكحول الاثيل حسب المعادلة الآتية:



ويفصل الكحول عن الحامض بواسطة التقطير البخارى Steam Distillation الكحول التجارى يحتوى على ٩٥.٦٪ كحول وحوالى ٥٪ ماء، والكحول المطلق Absolute alcohol يحتوى على حوالى ٩٩,٩٪ كحول ، ويستعمل الأول فى الصناعة كمذيب عضوي هام ، ويستعمل الثانى فى الأدوية والمختبرات والأبحاث ، وصناعة العطور ويمكن تخفيف الكحول بالماء حتى أدنى درجة التخفيف بحيث تصبح نسبة الماء الى الكحول ٣ اجزاء:جزء واحد حيث تتولد حرارة أثناء التخفيف.

بيئة الكحول: Alcohol proof

هى عبارة عن مقياس لقوة الكحول: It is a measure of the strength of alcohol

ويمكن تعريفها: انها ضعف نسبة الكحول بالحجم. مثال بيئة ١٩٠ Proof تعنى ان نسبة الكحول بالحجم ٩٥٪، وهذه تستخدم فى صناعة الروائح والعطور، وكذلك فى المشروبات الكحولية الكحول الايثيلى لا يُعد مادة سامة مثل الكحول الميثيلى، ولكن تعاطى الكحول بكمية، كذلك وضعه على الجلد لعدة مرات يسبب تسمماً للجسم.

الكحول المسوخ او المغيرة طبيعته: Denatured alcohol

تضاف الى الكحول مواد كيميائية تغير من لونه ورائحته وطعمه بحيث لا يصلح للتعاطى كمسكر او كمشروب، وهذا له استعمالات خاصة كإداة مشتعلة او فى الصناعة

استعمالات الكحول:

للكحول الايثيلى استخدامات كثيرة فهو يستخدم فى الطب والصيدلة، وصناعة العطور والمواد العطرية وفى صناعات اخرى، كما يستعمل فى مختبرات الابحاث كوقود، واكثر استعمالاته كمذيب هام لكثير من المواد الكيميائية

العضوية وغير العضوية وهو يعتبر ثاني مذيب عالمي Universal solvent بعد الماء، حيث يستخدم في اذابة الزيوت الثابتة والزيوت الطيارة والراتنجات والبلاسم والصبغات .. الخ.

(١) استعمالاته في الطب والصيدلة:

يستخدم الكحول (الاثيلي) بتركيز حوالى ٧٠٪ مع الماء كمادة مطهرة Disinfectant وأهم استعمالاته التطهير الموضعي للجلد خاصة عند حقن الابره فهو يقضى على الميكروبات Germicidal وتأثيره في ذلك ان الكحول المائى يمسح بروتين البكتيريا ويثبط عملية تكوين الطاقة بها، كذلك يستخدم الكحول في التعقيم Sterillization مثل تعقيم الآلات الجراحية، وأجهزة قياس درجات الحرارة Thermometers الخ.

ويستخدم في تحضير الادوية كمذيب لكثير من المواد حيث يدخل في بعض تركيب الامزجة Mixtures والنقيعات Infusions والصبغات Tinctures والخلصات Extracts وغيرها.

كما يستخدم كمادة أولية لتحضير مواد طيبة كالأثير Ether والذي يستخدم كمادة مخدرة والاسيتالدهيد Acetaldehyde والذي يستخدم كمادة حافظة.

(٢) استعمالاته في صناعة العطور والمواد العطرية:

يستخدم في تحضير جميع أنواع العطور مثل: الكولونيا Eau de Cologne وماء الطيب Perfumes وماء الطيب المركز او المقوى Essences ... الخ، كما يدخل في تركيب المواد العطرية مثل الصابون العطري، والمواد الاخرى التي تستخدم في الزينة.

(٣) استعمالاته الاخرى:

يستخدم في صناعة الورنيشات Varnishes والصبغات Stains والبلاستيك Plastics وغيرها.

كما يستخدم كوقود للاحتراق الداخلي Engines and Rockets ويستخدم كمادة مضادة للتجمد Antifreeze، ولتحضير العديد من المركبات الكيميائية الهامة مثل الاحماض العضوية والالدهيدات بواسطة الاكسدة.

ان هناك ابحاثا تجرى في كلية الصيدلة بجامعة الرياض تهدف الى استبدال الكحول- إن امكن- في المستحضرات الصيدلانية بمواد أخرى تؤدي عمله مع المحافظة على الفعالية الدوائية لتلك المستحضرات وثباتها. وهذا ما يعرف بتحضير أدوية خالية من الكحول ونرجو ان تثمر هذه الابحاث.

والله الموفق لما فيه الخير

المراجع العلمية:

1. «Alcohols», edited by Monick, Academic Press, New York (1978).
2. Principles of Medicinal Chemistry, edited by W. O. Foye, Lea and Febiger, Philadelphia, U.S.A. (1976).
3. Schmidt, Organic Chemistry, edited by N. Campbel, Oliver and Boyd, London. (1955).

أبحاث الندوة

البحث الثاني

تعريف الادمان على المسكر

مقدمة : يعد سلوك الادمان على المسكر من أنواع السلوك المرضية التي تدل على عدم توافق صاحبه مع نفسه ومع بيئته التي يعيش فيها بما في ذلك تعامله مع أسرته ومجتمعه ككل، ذلك ان الادمان على المسكر يؤثر تأثيرا سلبيا على شخصية الفرد ويجعله غير قادر على ان يقوم بدوره كعضو فعال يفيد مجتمعه، ولا شك ان هذه الآثار السلبية والمضار الجسيمة التي قد يؤدي اليها الادمان على المسكر لتعطى دلالة واضحة وبرهانا صادقا على الحكمة الإلهية في تحريم المسكر وحث الانسان المسلم بالابتعاد عنه، ولقد كان شرب الخمر معروفا لابان ظهور الإسلام، ثم نزلت آيات قرآنية تدعو الناس الى تجنب الخمر، وتحرمها عليهم فقد قال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (سورة المائدة) «٩٠».) انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) «٩١».

وفي حديث عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبی صلى الله عليه وسلم أتى ليلة أسري به بقدرحين من خمر ولبن، فنظر اليهما، فأخذ اللبن، فقال جبريل عليه السلام « الحمد لله الذى هدك للفطرة » لو أخذت الخمر غوت أمتك «رواه مسلم» والفطرة هنا بمعنى الاستقامة.

والادمان على المسكر ظاهرة اجتماعية تعاني منها مجتمعات كثيرة، وقد بلغ عدد المدمنين فيها ما يتجاوز عشرة ملايين كالولايات المتحدة الامريكية، كما ان نسبة الرجال الى النساء قد تبلغ اربعة اضعاف، كما أن النساء يبدأن شرب المسكر في وقت متأخر من حياتهن أما الرجال فمنهم من يبدأ في سن مبكر، هذا وقد بينت الدراسات ان المدمنين قد يأتون من مختلف فئات المجتمع فهم يختلفون في مستواهم الثقافي، ومستوى ذكائهم وطبقاتهم الاجتماعية ومهنتهم، كذلك فان نسبة الوفيات بين المدمنين من جراء الامراض العضوية المختلفة أعلى منها عند السكان العاديين ، وأيضاً فإن نسبة الاقدام على الانتحار عند

المدمنين أعلى منها عند السكان العاديين، ويعد الأدمان عاملاً هاماً في نسبة الاصابات والوفيات المرتبطة بحوادث السيارات، وكذلك فإن الادمان يعد عاملاً هاماً في تفكك الاسرة وزيادة نسبة الطلاق والانفصال، وايضا في الانحرافات السلوكية والاجرام.

بعد ذكر هذه الحقائق عن المدمنين على المسكر قد تجدر الاشارة الى ذكر ما تؤدي اليه مادة الكحول من تأثير في الانسان فقد دلت الدراسات على ان نسبة الكحول في الدم تختلف اختلافاً بينا وان هذه النسبة عندما تصل الى ثلاث عشرة من ١٪ فإنها تفتقد الانتظام، وتجعل التفكير مضطرباً ومشوشاً وأن نسبة ٥ من عشرين في المائة تسبب الغيبوبة، ومن المحتمل الموت.

تعريف الادمان على الكحول:

بعد هذه المقدمة الموجزة عن الادمان على المسكر نشير الى تعريف مبدئي للادمان على الكحول.

ولا شك ان تعريف الادمان على الكحول امر تعترضه صعوبات كثيرة، فتأثير مادة الكحول نفسها على الانسان سواء من الناحية الجسمية او النفسية يختلف باختلاف الاشخاص انفسهم، بل قد يختلف عند الشخص نفسه من ظرف الى آخر، ويرجع اختلاف الناس في ذلك الى عوامل كثيرة ومتشعبة نورد منها على سبيل الایجاز لا الحصر العوامل الآتية:

١ - شخصية الفرد:

فالأفراد يختلفون في شخصياتهم ودرجة تحملهم لتأثير الكحول على الجسم، وهذا الاختلاف يؤدي بدوره الى اختلاف درجات الادمان على المسكر

٢ - حالة الانسان الجسمية:

فالانسان صحيح الجسم يختلف عن شخص يعاني من امراض جسمية، وتأثير الكحول على جسمه يختلف حسب حالته الصحية.

٣ - اتجاه الفرد نحو شرب المسكر:
فهذا بدوره يؤثر على درجة الادمان على الكحول.

٤ - حالة الفرد الغذائية:
فالغذاء عامل مساعد على مدى تأثير مادة الكحول في الجسم.

٥ - طول فترة الشرب:
فإنها أيضاً تؤثر على درجة الادمان على الكحول
وانطلاقاً من هذه العوامل التي قد تتدخل في مدى تأثير الكحول على
الجسم، وبالتالي على عملية الادمان على المسكر فإنه يمكن التوصل إلى تعريف
- وإن لم يكن متفقاً عليه من قبل المختصين - وهذا التعريف هو ما ذكره عالم
الطب العقلي جلينيك

فقد أشار الى ان الادمان على الكحول يعنى استخدام الكحول بطريقة
تؤدى الى احداث ضرر للشخص نفسه او لمجتمعه، كما ان المدمن على الكحول
هو الشخص الذى يفقد السيطرة على نفسه فى شرب المسكر فلا يتوقف شره،
بل يستمر طوال يومه.

لذلك فتعريف الادمان على الكحول أمر تعترضه صعوبات كثيرة، فتأثير
مادة الكحول على الانسان سواء من الناحية الجسمية أو النفسية يختلف
باختلاف الاشخاص انفسهم بل قد يختلف عند الشخص ذاته من ظرف الى
آخر وهذا الاختلاف بين الناس يتوقف على العوامل الآتية:

- ١- شخصية الفرد.
- ٢- اتجاهه نحو شرب المسكر.
- ٣- حالته الجسمية.
- ٤- حالته الغذائية.
- ٥- حجم جسمه.
- ٦- وقت وطول فترة الشرب.

وإذا كان لابد من تعريف للأدمان على الكحول فقد نشير الى تعريف عملي قدمه جلينيك وهو: ان الادمان على الكحول يعنى استخدام الكحول بطريقة تؤدى الى احداث ضرر للشخص نفسه او لمجتمعه. وقد بين جلينيك ايضا مراحل أربع للادمان على الكحول هي :

١ - مرحلة ما قبل الادمان:

تتصف هذه المرحلة بشرب الكحول في مناسبات من اجل تجنب بعض مشكلات الحياة اليومية، والازمات التي قد تمر بالفرد في حياته، وتتكون عنده عادة شرب الكحول كلما أحس بمشكلة او ازمة فتزداد المناسبات، وبالتالي تزداد المرات التي يقدم فيها على الشراب ويتكون لديه تسامح وتهاون في ذلك الى درجة يصبح فيها الفرد ضحية للافراط في الشرب.

٢ - مرحلة الانذار بالادمان:

تميز هذه المرحلة بالافراط في الشرب، كما تظهر لدى الفرد أعراض عديدة مثل:
(أ) نوبات من النسيان التام لما حدث اثناء الشرب في صباح اليوم التالى.
(ب) شرب الخمر بانفراد.
(ج) الشعور بالقلق والتوتر حول ما اذا كان لديه كمية كافية من الشراب.
(د) يشعر بالذنب بسبب شربه للخمر.

٣ - مرحلة الادمان على الخمر:

تميز هذه المرحلة بعدم القدرة على التوقف عن الشراب لمدة اكثر من ٢٤ ساعة، فيفقد سيطرته على نفسه نتيجة شربه للخمر، كما تحدث له صعوبة في التوافق مع الحياة الاجتماعية فهو يشرب دائما في أوقات قد تكون غير مناسبة اجتماعياً، وقد يؤدي ذلك إلى تعطل عمله، ويحدث الشراب له مشكلات مع اصدقائه وزملائه في العمل، وكذلك مع أسرته، ويتعرض إلى نقص في المواد الغذائية لأن الشرب يقلل من شهيته للأكل

٤ - مرحلة الادمان المزمن:

في هذه المرحلة يتعرض الفرد الى مضاعفات كثيرة منها:
أ) مضاعفات جسمية مثل: التهاب المعدة المزمن، قرحة المعدة والاثنى عشر، التهاب اطراف الاصابع ، تليف الكبد وضعف في عضلات القلب أيضاً.
ب) مضاعفات نفسية مثل: تدهور الشخصية، والقيام بسلوك غير اجتماعي مع ظهور حالات من الامراض النفسية مثل:

- ١) الهذيان الارتعاشي
- ٢) الهذات الخيالية.
- ٣) الهلاوس الكحولية.
- ٤) العشه الكحولى.
- ٥) ذهان كورساكوف.

وفيما يلى وصف موجز لهذه الامراض النفسية:

اولاً: الهذيان الارتعاشي Delirium Tremens

يتصف هذا المرض بأعراض انذارية منها: القلق، وحدوث الكوابيس والفرع، والعرق الغزير، والشعور بالعدوان، والخداعات، واحيانا الهلاوس البصرية. كما يتصف ايضا بأعراض مثل:

١ - رعشة شديدة مستمرة فى اليدين.

٢ - تشوش فى الوعي مع فقدان الاستبصار والتعرف على الاشياء، واختلاط عقلى.

٣ - التوتر وكثرة الحركة واحتمال الوقوع على الارض

٤ - الهلاوس وخاصة البصرية منها مثل: رؤية حيوانات صغيرة كالفتران والبعوض والثعابين مما يسبب له خوفا شديدا يؤدى به الى الهروب.

٥ - يكون عرضه للخداعات والتهيؤات، فინهياً له وقوع سقف الغرفة.

٦ - غالبا ما يفقد المريض الذاكرة.

٧ - ترتفع درجة حرارته ويكثر العرق وتجب الشفأة، ويكتسي لسانه بطبقة بيضاء ويقبل البول.

ثانيا: الهذات الخيالية: Paranoid Delusions

وأهم هذه الهذات: الغيرة التي تصل بالفرد الى درجة الشك في تصرف الزوجة، فيقوم بتفتيش ملابسها ومراقبة سلوكها وإتهامها بالخيانة

ثالثا: الهلوس الكحولية: Alcoholic Hallucinosis

تعرف هذه الهلوس بالهلوس السمعية والخداع والأفكار الاضطهادية ، وتختفى هذه الاعراض بعد التوقف عن شرب الخمر.

رابعا: العشه الكحولى: Alcoholic Dementia

يحدث للمخ ضمور فى خلاياه العصبية، فيحدث له كل أعراض الاضمحلال العقلى.

خامسا: ذهان كورساكوف: Korsakoff Psychosis

تصاب بعض مناطق المخ بنزيف وتليف فى الخلايا العصبية، ويتميز هذا الذهان بفقدان الذاكرة للأحداث القريبة مع تزييف الوقائع للملء الفراغ الموجود فى الذاكرة، ويصاحب هذه الأعراض التهاب فى اطراف الأعضاء فيتأثر القلب والكبد والمعدة بذلك.

المراجع العربية:

١ - احمد عكاشه - الطب النفسى المعاصر - مكتبة الانجلو المصرية
١٩٧٦م.

المراجع الاجنبية:

F. Mears and R. J. Gatchel
Fundamentals of abnormal Psychology
Rand McNally College Publishing Co., Chicago 1979.

أبحاث الندوة

البحث الثالث

الأسباب المؤدية إلى تعاطى الكحول والادمان عليه

الاسباب المؤدية الى تعاطى الكحول والادمان عليه

مقدمة:

لا شك في ان تعاطى الكحول أو الادمان عليه في البلاد الاسلامية يعد في المقام الاول معصية للخالق سبحانه، كما يعد انحرافا سلوكيا، ومسببات هذا الانحراف السلوكى عديدة ومختلفة منها: العوامل الحضارية اى عوامل تتصل بالحضارة السائدة. ومنها عوامل نفسية واجتماعية. وللوقوف على هذه الاسباب يجب ان يقوم العلماء باجراء الدراسات النظرية والميدانية لايجاد الحلول الوقائية او العلاجية حتى لا يستفحل الداء فيستحيل الدواء، وكما قال الحكماء: «الوقاية خير من العلاج»، والظاهرة السلوكية المنحرفة التى يتناولها هذا العرض هى: «الاسباب المؤدية الى تعاطى الكحول والادمان عليه».

فالجدير بالذكر ان تعاطى الكحول ظاهرة غير محدد تصنيفها في معظم الحضارات الغربية، فمن قائل بأنها ظاهرة منحرفة، الى قائل بأنها غير منحرفة ولكن يتفق الجميع على أن الادمان مرض. اما ظاهرة تعاطى الكحول فقد اتفق عليها الجميع في الدول الإسلامية بأنها انحراف سلوكى لمخالفة متعاطيها للشريعة السمحاء.

وحيث ان مجال تعاطى الكحول او الادمان عليه لم يبحث بعد في هذا البلد المسلم وقد يعزى السبب في ذلك الى ان الشريعة تحرم معاقرة الخمر، فان هذه الظاهرة لم تبرز في السابق بشكل يستدعى معه اجراء البحوث والدراسات العلمية لعلاجها.

ومجال تعاطى الكحول والادمان عليه مجال شائك ومعقد ولكى يتمكن الباحث من الوصول الى اسبابها الحقيقية يجب ان يركز في تحرياته على عوامل رئيسية ثلاثة هى:

(١) خاصيات الكحول.

(٢) صفات شخصية متعاطى الكحول.

٣) القيم الحضارية والاجتماعية السارية في المجتمع .
وقبل الخوض في هذه المجالات اود ان اعرف بعض المفاهيم والاصطلاحات
التي يجيء ذكرها في هذا العرض توخيا للدقة العلمية، ومن بعض هذه المفاهيم
والاصطلاحات ما يجيء ذكره في حقل الطب النفسي وحقل علم النفس أو
الاجتماع

التعريفات :

الكحول Alcohol : وهي جميع المواد الطبيعية او الكيميائية المحضرة اما
بعملية التقطير او التخمير والتي يستعملها الفرد لاحداث تغييرات في الادراك
العقلى او المزاج او الشعور .
وهذه المواد يمكن ان تستعمل لأغراض علاجية او غير علاجية.

متعاطو الكحول : Alcohol Users

وهم الافراد الذين يتعاطون الكحول لأسباب غير علاجية.

المدمنون على الكحول : Alcoholics

وهم الافراد الذين يسيئون استعمال الكحول لأسباب علاجية، او غير
علاجية مما يؤدي معها الى الاعتماد عليها اما جسميا او نفسيا او كليهما.

الاعتماد الجسمي : Physical Dependency

وهي الحالة التي يعتاد بها الجسم فسيولوجيا على الكحول ليؤدي وظائفه
الجسدية العادية، واذا لم يتعاط المادة ظهرت على الفرد خصائص اعراض
الانسحاب.

الاعتماد النفسي : Psychological Dependency

وهي الحالة التي يعتاد فيها الفرد على تعاطي الكحول ليتسنى له احداث

تغيرات في سلوك ينشده، وإذا لم يتعاطى المادة فشل في تحقيق أهدافه.

التحمل الجسمي: Physical Tolerance

هو حاجة الجسم الى زيادة او نقصان جرعة الكحول التي يتعاطاها المدمن للحصول على أثر مماثل للجرعة السابقة.

أعراض الانسحاب: Withotvawal Syndrom

وهي الاعراض الجسمية والنفسية المرضية التي تظهر على المدمن اذا توقف عن تعاطي الكحول، ومنها التثاؤب، دموع في العيون، رشح الانف، العرق، فقدان الشهية، اتساع حدقتي العين، الرعشة والقشعريرة، القيء والاسهال، وفقدان الوزن، مخاوف وهمية، توتر، اكتئاب... الخ من العوارض.

فئات متعاطي الكحول

ينقسم عادة متعاطيو الكحول الى عدة فئات نسوق منها التالي:

١- المجهزون: وهم تلك الفئة من الافراد اللامبالين الذين يتعاطون الكحول بدافع حب الاستطلاع، او للعلم بالشيء، او للتقليد، وجميع الدراسات تدل على ان هذه الفئة من الافراد عادة لا تستمر في تعاطي الكحول لأن المتعاطي قد اكتشف بأن تأثير الكحول هو ليس ما ينشده.

٢- غير المنتظمين: وهي تلك الفئة القليلة المجرية الذين ينتقلون الى هذه المرحلة بعد ان شعروا (ظنا ووهما) بعدم خطورة الكحول، ولا يجدون غضاضة في استعمال الكحول في مناسبة خاصة بدافع الفرفشة او المجارة، وعادة ما يتعاطى هؤلاء الكحول مرة الى ثلاث مرات في الشهر مثلاً وفي مناسبات خاصة

٣- المنتظمون: وهي تلك الفئة من المجهزين، أو غير المنتظمين الذين يتحولون الى هذه المرحلة بدافع الاعتماد على الكحول لاحداث حالة شعورية

مقصودة (الارتخاء، الجنس، العلاقات الاجتماعية، التغلب على الخجل)، وبدون تعاطى الكحول لا يستطيع الفرد عادة تحقيق ما ينشده، وتصبح الخمر ضرورية لشخصية الفرد، وعادة ما يتعاطى هؤلاء الكحول مرة في اليوم او عدة مرات في الاسبوع كعادة خاصة بدافع شخصي.

٤- المدمنون: وهي تلك الفئة من الافراد الذين يسيئون استعمال الكحول ويتعاطونه بكميات كبيرة، إما في فترات متتابة او متقطعة ليوم او لبضعة ايام. اما الدافع لتعاطى الكحول فيعود الى الاعتماد النفسي او الجسمي او كليهما، وإذا لم يتعاط الفرد الكحول ظهرت عليه اعراض الانسحاب.

مراحل السكر والادمان واعراضها

من المعروف ان أية كمية من الكحول تؤثر عادة على الجهاز العصبي المركزي، فإذا زادت الكمية وصل الفرد الى حالة السكر، والسكر على درجات منها حالات السكر الخفيف وحالات السكر الحاد. كما ان سوء استعمال الكحول يسبب الادمان، وحالات الادمان على درجات ايضا منها: الخفيف، ومنها الحاد، ومنها المزمن، وفيما يلي وصف لمراحل السكر والادمان.

أم مراحل السكر:

١- حالات السكر الخفيف: وهي المرحلة الاولى، والسكر فيها يدرك الكثير من الواقع.

ومن اعراض هذه المرحلة ضعف القدرة على التركيز الذهني، ميوعة التوافق الحركي، كثرة الغثرة، الشعور بالشجاعة، والمبالغة في السلوك، ورفع الكلفة، والاستخفاف بالقيم الاجتماعية.

٢- حالات السكر الحاد: وهي المرحلة الثانية، والسكر فيها يختلط عليه الواقع. ومن أعراض هذه المرحلة غيبوبة العقل، الهذيان او الهلوسة، النسيان الى حد لا يعرف فيها السكر اسمه او عنوان منزله او مكان وجوده، والبعض تتأهبهم حالة غضب يقدمون فيها على ارتكاب الجرائم الخلقية التي لا يتذكرها بعد الصحو.

ب - مراحل الادمان:

١- المرحلة الأولى: وهي الادمان الخفيف ومن أعراضها: زيادة التحمل الجسمي، غيبوبة يصاحبها فقدان ذاكرة مؤقت، التسلسل خفية لزيادة تعاطي الكحول لتعويض حالة التحمل، التفكير المستمر والتخطيط للحصول على الخمر وتعاطيه، سرعة شرب الخمر للحصول على تأثير سريع لتخفيف حالة التوتر، تجنب أي سلوك من شأنه إثارة الانتباه أو الشكوك نحو تعاطيه الكحول، زيادة الغيبوبة، اذ تتراوح ثلاث مرات من كل عشر مرات يتعاطى فيها الخمر، فقدان السيطرة على التحكم في الشرب بعد أول جرعة.

٢ - المرحلة المتوسطة وهي الادمان الحاد:

ومن أعراضها: التغيرات المستمرة لتعاطي الكحول، عتاب الآخرين لاعتراضهم على الشرب الزائد، المغالاة في اكرام الغير لاكتساب المودة والأصحاب، السلوك التهجمي تحت تأثير الكحول، الشعور بالذنب والأسى بعد الصحوه نتيجة لسلوكه العدواني، الهروب في رحلات انفرادية لسيان الخمر، محاولة التخفيف من الشرب وذلك بتغيير انواع الخمر أو الرفقاء أو الاماكن التي يرتادها للشرب، تراخي في العلاقات الاجتماعية، ازدياد المشاكل الوظيفية أو المهنية ، تغيير ظاهر في العلاقات الأسرية ، اللجوء إلى أفراد آخرين للمشورة في مشاكل متعددة عائلية أو مهنية ما عدا تعاطي الكحول ، تجنب الاشخاص الذين يواجهونه بمشكلة تعاطي الكحول ، التأكيد - باستمرار - من وجود كميات من الكحول ، تناول الكحول بدون توقف على مدار اليوم أو الأيام ، تردى الصحة الجسمية والنفسية وبدء انهيار الشخصية .

٣ - المرحلة الاخيرة وهي الادمان المزمن:

ومن أعراضها: انهيار القيم الاخلاقية والعرفية؛ حيث يلجأ المدمن الى التوسل والكذب والسرقة للحصول على الكحول، تفكير غير منطقي، عدم الاتزان،

نقصان التحمل بحيث يسكر على كمية أقل، مخاوف من أشياء وهمية، الارتعاش المستمر نتيجة للإدمان، عدم الانسجام الحركي، اللجوء إلى الدين كوسيلة لتخفيف تعاطي الكحول، الحلقة المفرغة وهي التسرب ليشعر بالراحة فتقلب إلى إساءة، بدء انقطاع المدمن عن الواقع مما يتبعه انهيار عقلي، تردى المظهر العام، الجنون وربما الموت المحقق إذا لم يعالج.

من هو المدمن على الكحول؟ وهل يمكن التعرف عليه بسهولة؟

من الصعب تعريف الإدمان كما أنه من الأصعب علاج الإدمان، أما التعرف على المدمن وخاصة في المرحلة الأولى فإنه صعب للغاية. فالفرد الذي يتعاطى الكحول ويسيء استعماله فإنه عادة ما يتحول إلى مدمن، وإن سرعة هذا التحول من متعاطي الكحول إلى مدمن عليه يختلف من فرد لآخر فهناك من يدمن بسرعة وفي سن مبكرة، وهناك من يدمن ببطء وفي سن متأخرة من حياته

ولا شك في أن الإدمان على الكحول مرض كامن له عوامل مهينة حيث لا يأتي عادة فجأة، إذ إن المدمن كثيراً ما يلجأ إلى الطبيب للشكوى من بعض أعراض جسدية أو نفسية كعدم النوم أو الإسهال، أو ربما كسر أصابه في رجله، أو تشويه في وجهه، لكن هناك بعض الأعراض التي يمكن أن تثير شك الطبيب في أن المريض يعاني من الإدمان، ومن بعض هذه الأعراض الجسدية والنفسية على وجه المثال : استمرار الحموضة في المعدة، السعال الصباحي، ارتفاع النبض، ارتفاع ضغط الدم، ارتعاش اليدين، احمرار الوجه، الشعور بالقلق والتوتر، صعوبة النوم والاحلام المزعجة، حدة المزاج وتحوله السريع إلى الغضب والنسيان... الخ.

أسباب تعاطي الكحول والادمان

كما ذكرت في مقدمة هذا العرض ان اسباب تعاطي الكحول او الادمان عليه شائكة ومعقدة، حيث يرى علماء النفس ان تعاطي الكحول أو الادمان عليه هو عرض لاضطراب عقلي او نفسي كامن او ظاهر (Covert or Overt) إما علماء الاجتماع فيرون ان تعاطي الكحول او الادمان عليه يرجع الى أسباب اجتماعية او حضارية.

اما علماء الوراثة وعلماء الطب النفسيون فيرجعون أسباب ادمان الكحول الى استعداد وراثي، او تغييرات في الانسجة نجمت عن التعاطي المستمر للكحول.

يستخلص مما تقدم ذكره ان لكل من علماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الوراثة وعلماء الطب النفسي رأيا من تفسير تعاطي الخمر والادمان عليه. وللتعرف على بعض من هذه الآراء نسوق منها على سبيل المثال بعض الدراسات الغربية التي اجريت في هذا المجال.

في دراسة حضارية أجراها ليكون دباري وتشايلو عام ١٩٦٥ م لمقارنة تعاطي الخمر في مجتمعات مختلفة تأكد للباحثين ان اسباب تعاطي الخمر ترجع إلى الحاجة للتخفيف من شعور الاحباط، او الصراع الناتج عن حاجة الفرد للاعتماد على غيره. اما علماء النفس التحليليون، فقد فسروا شودركوف في دراسة قام بها ١٩٦٤ م بان المدمن يعاني من نقص في الانا، وقدرة ضعيفة على اقامة علاقات صحية مع الآخرين. وقد ايد هذا الاتجاه بلوم في دراسة تحليلية عام ١٩٦٦ م.

اما دراسة وود مع زميله دفي عن النساء المدمنات في مستوى اجتماعي واقتصادي مرتفع في امريكا فقد بينت للباحثين ان معظم المدمنات يأتين من أسر تتميز بتسلط الام وضعف الاب، اما الزوج فقد تميز ببرودة وحب السيطرة وتعاطي الكحول.

اما دراسة بلير عام ١٩٦٨ م عن انتشار تعاطي الكحول والادمان بين المراهقين فقد عزت ذلك الى المناسبات الاجتماعية، والدعاية للخمر، ونظرة

المراهق الى زميله الذى يعاقر الخمر بأنه مهم، وكذلك تقليد الاباء انفسهم.
هذه امثلة مقتضبة لدراسات غربية أكدت وجود ثلاثة عوامل رئيسية
لتعاطي الكحول والادمان عليه وهذه العوامل هي:

أ) العوامل النفسية (ب) العوامل الاجتماعية (ج) العوامل الحضارية.

وانطلاقاً من هذه القاعدة، وحيث انه لم يتم حتى الآن اجراء مثل هذه
الدراسة فى كثير من بلادنا العربية فاننا نود ان نطرح بعض الفرضيات عن
العوامل التى يمكن ان تسبب فى تعاطي الكحول او الادمان عليه فى مثل هذه
المجتمعات. حيث أن من المبادئ الرئيسية فى الانحراف السلوكى مبدأ تعدد
وتفاعل الاسباب الى حد يصعب فيه الفصل بينهما، او تحديد مدى اثر كل
منهما

وتوخياً للسهولة فى طرح هذه الفرضيات نود ان نعرض ما نسميه (١)
بالاسباب الاصلية. (٢) الاسباب المساعدة. فالاسباب الاصلية: هي التى
تمهد وتيسر لظهور تعاطي الكحول او الادمان عليه، اما الاسباب المساعدة:
فهى التى تعجل فى تواجد هذه الظاهرة المنحرفة.

(١) من فرضيات الاسباب الاصلية:

- أ) ضعف او اضطراب العقيدة الدينية والذات الاخلاقية
- ب) ضعف التكوين الوراثى او الاضطراب العضوى للفرد.
- ج) الاضطرابات النفسية التى يعانى منها الفرد لأسباب مختلفة.
- د) اضطرابات التنشئة العائلية خاصة فى مرحلة الطفولة
- هـ) ضعف الوضع الاجتماعى للفرد

(٢) من فرضيات الاسباب المساعدة:

أ) التطور الحضارى السريع المؤدى الى تحولات فى القيم الاجتماعية
والشخصية.

- (ب) الصدمات الانفعالية للفرد.
- (ج) مراحل النمو الحرجة في حياة الفرد.
- (د) التأثير بيئات أخرى بطريقة مباشرة او غير مباشرة.

فرضيات الاسباب الاصلية:

(أ) ضعف او اضطراب العقيدة الدينية والذات الاخلاقية، حيث اتفق علماء الدين والباحثون على ان هذا الضعف من شأنه ان يجعل الفرد يقع فريسة للأزمات النفسية التي من شأنها ان تؤدي الى انحرافات مختلفة ومنها تعاطي الكحول. لذلك يرى هؤلاء العلماء والباحثون ضرورة غرس الايمان في الفرد وتدعيم الذات الاخلاقية لديه.

(ب) ضعف التكوين الوراثي او الاضطراب العضوي للفرد، حيث تقوم الوراثة بدور أصلي للأمراض النفسية والعقلية والعضوية التي من شأنها ان تدفع الفرد إلى تعاطي الكحول، ولكنها لا تعمل وحدها بل تدعم البيئة اثر الوراثة، كما تؤكد بعض الدراسات العلمية أن اضطراب التغيرات الكيميائية تؤدي الى اضطراب فسيولوجي مما يساعد على الادمان على الكحول.

(ج) الاضطرابات النفسية التي يعاني منها الفرد حيث تسبب هذه الاضطرابات - كما أكدت الدراسات المختلفة - الصراعات التي يواجهها الفرد والتي من شأنها ان توجد لديه القلق نتيجة للشعور بالاحباط الناتج عن عدم تحقيق حاجات اساسية، إضافة إلى ان الخبرات السيئة والصدمات الحضارية مثل: الشعور بالعزلة والاضطهاد وعدم الانتفاء يمكن ان تسبب الاضطرابات النفسية الى حد تدفع فيه الفرد للانحراف السلوكي كتعاطي الكحول او الادمان عليه.

(د) اضطرابات التنشئة العائلية خاصة في مرحلة الطفولة، حيث ان دراسات عديدة - منها ما أشرنا إليه سابقاً - تشير إلى أن العوامل الأسرية كفقدان الترابط الأسري، أو تسلط الأم الباردة، أو تسلط الأب الغليظ، أو سوء

التربية الناتج عن اضطراب الوالدين أو جهلهما، أو الانحلال الخلقى بينهما من شأنه أحداث اضطراب في تنشئة الأطفال، وبالتالي وقوع الأطفال فريسة للسلوك المنحرف أثناء فترة المراهقة أو الرشد كالأقدام على تعاطي الكحول

(هـ) ضعف الوضع الاجتماعي للفرد والذي من شأنه ان يحرمه من السبل المعيشية التي تنهض به لتحقيق اهداف في الحياة، مما يضعه فريسة للصراعات النفسية والكبت والشعور بالاضطهاد او النقص، مما يدفعه الى تعاطي الكحول أو الادمان عليه للهروب من الواقع، ولتخفيف حالة اليأس أو البؤس التي يعانى منها.

٢ - فرضيات الأسباب المساعدة:

(أ) التطور الحضاري السريع الذى يؤدى الى تحولات في القيم الاجتماعية، حيث يحدث بلبلة أو اضطراب أو تفاوت في العادات والقيم السائدة الناتجة عن تغير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مما يجعل الفرد عرضة للصراعات النفسية.

هذا اضافة الى وجود كثرة المال مع الملل الناتج عن الفراغ مع عدم وجود وسائل الترفيه والترويح، مما يدفع الفرد الى ايجاد وسيلة للتسلية كتعاطي الكحول اذا توفر شراؤها.

(ب) الصدمات الانفعالية للفرد كالأزمات الطارئة في حياته الاجتماعية كموت أب، أو فقدان أم، أو فشل في حياة زوجية، أو خسارة ابن، أو خسارة مال، أو عمل كل هذه الصدمات الانفعالية المفاجئة في حياة الفرد يمكنها ان تسبب الاكتئاب الشديد الذى قد يدفع الفرد الى تعاطي الخمر، أو الادمان عليها لتخفيف حدة الحدث.

(ج) مراحل النمو الحرجة في حياة الفرد ومنها مرحلة المراهقة التي يتعرض فيها الفرد كجزء من نمائه الطبيعي الى الاستقلالية مما يدعو للتشكك في القيم السائدة، والثورة على السلطة، وتقليد الجماعة المرافقة من شلته، والمغالاة في

السلوك واللامبالاة. كذلك فان مرحلة سن القعود او اليأس يضع عبثا ثقيلًا على نفسية الفرد لمواجهة حالته الصحية او وضعه الاجتماعي، مما قد يساعد على دفعه الى تعاطي الكحول او الادمان عليه.

(د) التأثير من بيئات اخرى كتقليد او محاكاة العادات والقيم الاجتماعية، أو موضوعات او بدع حضارات اخرى، وقد تتم هذه المحاكاة اما عن طريق السفر الى تلك الحضارات، او قدوم افراد من حضارات مختلفة للعمل او الزيارة، كما يمكن ان يحدث التقليد بطرق غير مباشرة كتقليد وسائل الاعلام مثل التلفزيون والفيديو والمجلات وغيرها من وسائل الاعلام المختلفة.

يستخلص مما تقدم ذكره ان هناك فرضيات لأسباب اصلية واسباب مساعدة تؤدي الى تعاطي الكحول او الادمان عليها استنادا الى أسس علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الوراثة والطب بالإضافة الى علوم الدين والتربية. ومما لاشك فيه ان دراسات جدية في هذا المجال لابد وان تجرى لإيجاد الحلول الوقائية او العلاجية حتى لا يستفحل الداء فيستحيل الدواء.

والله والموفق،،،

المراجع العربية والأجنبية

- (١) سيد جلال - في الصحة العقلية - مكتبة المعارف الحديثة . ١٩٨٠م
- (٢) محمود الزيادةى - علم نفس الشواذ - مكتبة النهضة العربية.
3. Bacon, M.K, Barry, H. and Child. I.L.A Cross-Cultural Study of Drinlcng. Quarterly Journal of studies on Alcohol. 1965.
4. Blare, H.T. Trends in the Prevention of alcoholism. Psychiatvic Research Reports, 1968.
5. Blum, E.M. Psychoanalytic views of Alcoholism. Quarterly Journal of Studies on Alcohol, 1966.
6. Chodorkoff, B. Alcoholism and Ego Function. Quarterly Journal of Studies on Alcohol, 1964.
7. Keaton , William and Associates, The Symptoms and Phases of Alcoholism (Jellinec Chort Modified) ١٩٦١م.
8. NARCO, Drugs And Their Abuse, unpublished Papers-
9. Nowlis, Helen. Drugs Demystified, the UNESCO PRESS 1915.
10. Wood, H and Duffy, E. Psychological Factors in Alcoholic Women. American Journal of Psychiatry, 1966.

أبحاث الندوة

البحث الرابع

الادمان على الكحول : سبل الوقاية والعلاج

لقيت مشكلة الادمان على الكحول، وبخاصة في السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا من جانب المهتمين بدراسة السلوك الاجتماعي المنحرف والباحثين في مشاكل المجتمع بوجه عام. ولا يعنى ذلك أن مشكلة ادمان الخمر التي تعيشها المجتمعات المختلفة، أو حتى الاهتمام بها أمران جديداً، فالمشكلة ذاتها قديمة قدم التاريخ الانساني كله، وطالما احتلت جانبا من الجهود المضنية التي بذلها الانسان لعلاج مشكلاته، وكل ما في الأمر أنه لم يلتفت إلى ضرورة تناولها تناولاً علمياً الا مؤخراً، ومن ثم عدت من الأمراض الاجتماعية، والاضطرابات التي يهتم بها علم الاجتماع وعلم النفس المرضي والطب النفسي، كما عدت من قبيل المشكلات الأخلاقية المهددة للنظام الاجتماعي بأكمله.

وبصرف النظر-الآن- عن الاختلافات بين الباحثين في تناولهم العلمي لمشكلة الادمان على الكحول وغيرها من مشكلات السلوك الاجتماعي المنحرف كأن يكون تناول نظرياً بالدرجة الأولى، أو مما يهتم أساساً بالجانب التطبيقي وبمعطيات الواقع المباشر، فقد نجحت هذه الجهود النظرية والتطبيقية على أية حال في تطوير مجموعة من المفاهيم والتصورات التي لها أهميتها في فهم طبيعة المشكلة ودينامياتها ، وبالتالي ساعدت في عمليات الوصف والتحليل والتفسير، وبالتالي تحديد المداخل المناسبة لمعالجة الادمان الكحولي، ومختلف العوامل التي يمكن أن تسهم في الوقاية من ادمان الخمر وقد أصبح من المعروف-تماماً- أن عدداً كبيراً من علماء الاجتماع بصفة خاصة قد بدأوا يسهمون اسهاماً ملحوظاً في حل العديد من المشكلات، وأن الكثيرين منهم يعملون الآن كأعضاء في هيئات البحوث التي تجربها المؤسسات العقابية والأمنية، في المراكز المعنية بمعالجة مدمني الخمر، وفي أقسام الطب العقلي والنفسي بالمستشفيات.

وسوف تحاول هذه الدراسة رغبة منها في توفير تناولاً علمياً للملهم للمشكلة أن تؤلف بين أفضل ما في هذين الاتجاهين السابقين من عناصر، يعنى ذلك انها استكشافية على المستوى النظري من ناحية، ولكن يختبره ويحققه من الناحية الثانية الاهتمام بمعطيات الدافع خاصة تلك التي لها دلالتها

في فهم المشكلة والتي تتيح امكانية الحكم على صدق النظر في ضوء بعض المحركات العلمية، وبعض النتائج التي توصلت اليها العديد من الدراسات الميدانية، ونزولا على كل هذا يصير من الضروري أن نتناول بادىء ذى بدء عددا من المفاهيم الاساسية المستخدمة في الدراسة بالتحديد والتعريف، وبعد ذلك ضرورة علمية؛ لأنه من الخطر استخدام الكلمات بطريقة فضفاضة لا تعنى الا بالتفسير اللفظي، ويكون هذا تمهيدا للغرض الاساسي من الدراسة وهو الكشف عن أنسب العوامل التي تساهم في الوقاية من الادمان، وتساعد على رعاية المدمن بعد علاجه وسوف نحاول في هذا الصدد استجلاء المقصود بالمشكلة الاجتماعية، وبالادمان الكحولي، والسلوك المنحرف

تحديد المفاهيم :

١ - المشكلة الاجتماعية : على الرغم من أن هناك من علماء الاجتماع من لا يفرق بين المشكلة الاجتماعية أو الانحراف أو التفكك بعدها درجات متفاوتة لشيء واحد هو: انعدام التوازن في ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، ولذلك يستعملون هذه المصطلحات الثلاثة كل في مكان الآخر دون تمييز، فإن الاتجاه في علم الاجتماع الحديث يميل إلى الخروج من هذا الخلط بوضع تحديدات أكثر دقة تساعد على الدراسة والتحليل السليمين^(١).

وقد أوضح أوجبرن Ogburn في نظريته الشهيرة عن "التخلف الثقافي" أن المشكلة الاجتماعية إنما تنبع من المعدلات المتفاوتة للتغير في أجزاء الثقافة الواحدة بين جوانب الثقافة المادية واللامادية، وبخاصة نتيجة للتغيرات التكنولوجية التي تؤدي إلى قلقلة العادات والقيم والمصالح المستقرة، الأمر الذي -أعتقد أنه- يؤدي إلى احداث فجوة في التوازن الاجتماعي^(٢).

كما قدم ليندبرج Lundburg تحديداً موضوعياً للمشكلة الاجتماعية؛ فذهب

Clinard, M.B; Sociology of Deviant Behaviour.

(١)

N. Y. 1961. P. VII.

Ogburn & Nimkoff; Sociology, London, 1960. P.P. 635 - 637

(٢)

إلى أنها: أي سلوك انحرافي في اتجاه غير موافق عليه له من الدرجة ما يعلو فوق الحد التسامحي للمجتمع، ومثل هذا السلوك الذي يجاوز حدود التسامح يؤدي إلى فعل عام يهدف إلى حماية المجتمع واصلاح المخالف أو الجاني، وتحذير كل إنسان من الانحراف الذي يتعدى نقطة معينة لا يتسامح فيها^(٣).

كما رأى البعض الآخر أن المشكلة الاجتماعية: هي انحراف يتم داخل اطار المجتمع، فهي موقف يتطلب معالجة اصلاحية، وينجم عن ظروف المجتمع أو البيئة الاجتماعية، ويتحتم معه تجميع الوسائل الاجتماعية لمواجهة وتحسينه^(٤). ويبدو لنا مما تقدم أن هناك شبه اتفاق على أن الدراسة الاجتماعية للمشكلات الاجتماعية تبدأ من نقطة واحدة تقريباً هي الانحراف عن القواعد والمعايير وأنماط السلوك التي حددها المجتمع للسلوك السوي الصحيح ، طالما أن هذه القواعد تضع معايير معينة يكون الانحراف عنها أو الخروج عليها مؤدياً إلى رد فعل واضح من المجتمع، أو بتعبير آخر توجد المشكلة الاجتماعية حينما لا توجد لدى المجتمع القدرة على تنظيم العلاقات الانسانية بين الناس، وتضطرب القيم السائدة وينتهك القانون وينعدم — أو على الأقل يتعثر— انتقال القيم من جيل لآخر، وكله مما يضر بالعلاقات الانسانية، ويهدد الكيان الاجتماعي تهديداً خطيراً.

٢ — **الادمان الكحولي** : يتضمن تعريف الادمان على الخمر الانحراف عن معايير التناول العادي — على الأقل — في داخل المجتمعات المعينة ذات الثقافات المعينة التي تسمح بهذا التناول^(٥)

Lundburg, L ; Sociology. N.Y. 1958. P 320 (٣)

Fairchild; Dictionary of Sociology, N.Y. 1949. P. 289 (٤)

Clinard, M.B; Contributions of Sociology to understanding Deviant Behaviour. The British journal of Criminology. 1962. Vol. 3. P.P. 110 - 129 (٥)

وتوصف الحالة بأنها ادمان كحولي إذا بلغ التعاطي حدا تفسد معه الحياة الاجتماعية والمهنية للفرد، ويصل الادمان إلى صورة مركبة معقدة تتميز ببعض السمات منها: الرغبة الملحة في تكرار التعاطي والاتجاه نحو زيادة الكمية، ووضوح الآثار بالنسبة إلى الفرد وإلى الوسط الاجتماعي^(٦)

وبعد هذا التعريف تعريفاً اجرائياً له فائدته من الناحية العملية إذ يشمل مقدار الخمر الذي يستهلكه الفرد، والهدف من تناولها، والقيود الاجتماعية المفروضة على التناول، وأخيراً مدى عجزه عن ان يمنع نفسه من الافراط في تناولها. وكلها مما تساعد في تحديد مدى الادمان، وبالتالي تشخيص الآثار الجسمية والنفسية والعقلية المصاحبة له او الناجمة عنه.^(٧)

٣ - السلوك المنحرف:

يتفق الباحثون على ان هناك ضرباً مختلفة من السلوك المنحرف مثل: الاجرام وجناح الاحداث، وادمان الخمر والمخدرات، والامراض العقلية، والانتحار، ومشكلات الزواج وعلى الاخص سوء التكيف الاسرى.

ونزولاً عند اغراض هذه الدراسة فإننا نستطيع ان نعرف السلوك المنحرف - في ضوء صلته بالمعايير والقيم من ناحية وبأهداف المجتمع ككل من ناحية ثانية - بأنه انتهاك للقواعد يتميز بدرجة ملحوظة من الخروج على حدود التسامح العام في المجتمع

وهذا يعنى ضمناً ان المعايير التي تحدد السلوك المنحرف ليست هي بالضرورة نفسها في الثقافات المختلفة، كما أنها ليست ذاتها في الثقافة الواحدة المعينة خلال الفترات الزمنية المختلفة، الامر الذي ينبغي ان يؤخذ في الاعتبار عند الحديث عن الوضوح الاجتماعي للانحراف وذلك لأن الثقافة الكلية في هذه الحالة لا تشكل نمطاً واحداً للسلوك، بل تشكل انماطاً متعددة بتعدد

(٦) محمد شحاته ربيع - أصول الصحة النفسية ، القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ١٢٦

(٧) " The Concept of Health in Psychiatry " , in A.H. Leighton. et al. (ed.) , Explorations in Social Psychology. N.Y. Basic Books .

ويرى البعض ان أفضل طريقة لوصف السلوك المنحرف او الانحراف عموما ان نقارنه بالامتثال Conformity، أي الفعل الذي يتحرى معيارا او معايير معينة، ولهذا يمكن القول بأننا نستطيع ان نحدد معنى الانحراف اذا كان لدينا الوسائل المضبوطة لوصف وتحديد القيم والمعايير الاجتماعية، وبذلك فقط-تستقيم فكرة مقابلة الانحراف بالامتثال، ويكون لها معنى من حيث اتصالهما بالحقيقة القائلة بأن أعضاء المجتمع يوجهون الى معايير اجتماعية تكون داخليا جزءا من شخصياتهم ، ومن ثم تكون عملية التعرف على هذه المعايير من أهم ما ينبغي على الباحث أن يوليها عناية عند دراسة أي مظهر من مظاهر السلوك الاجتماعي المنحرف.

بإيجاز شديد حاولنا فيما سبق ان نحدد بعض المفاهيم الأساسية المستخدمة في هذه الدراسة، ونستطيع في ضوء هذا أن نقف على أمرين اثنين يمكن استخلاصهما:

اولا: ان هذه المحاولة من الواضح انها استمدت، كما استفادت كثيرا من القسامات الاساسية لمدخل التحليل الوظيفي Functional analysis، (٨) ، وذلك اعتقادا منا ان هذا المدخل ينطوي على نظرة اكثر موضوعية وتطورا بالنسبة لفهم السلوك الانحرافي، ذلك على اعتبار ان البحث عن اسباب هذا التمث السلوكي يتوجب ان يتم في داخل السياق الاجتماعي ذاته بما يتضمنه من ثقافة ونسق للقيم، وليس في الوحدة الفردية المرتكبة للسلوك وان كانت العلاقات بينهما جد وثيقة ومتشعبة بالطبع. ويكون معنى ذلك انه اذا كانت هناك ادانة للسلوك الانحرافي او الاجرامي فيجب ان توجه الى بناء المجتمع ذاته، وخاصة الى نسق القيم فيه وليس الى الفرد المنحرف، وان لم يكن معنى ذلك انتفاء مسئوليته تماما.

(٨) يعتقد البعض انطلاقا من مواقف متحيزة ونتيجة لرغبتهم المتسرعة في الحكم والتعميم إتهام الاتجاه الوظيفي بالفشل في تناوله قضايا الانحراف والصراع بوجه عام وتوقفه عند حدود قضايا التوازن والتساند والتكامل، ولكن في هذا الموقف كثير من التجنى الذي ينبغي تجاوزه في ضوء الفهم الموضوعي لقضايا هذا الاتجاه

ثانياً : اذا كان السلوك الانحرافي في أغلب حالاته ارتكاب فعل او اتباع نمط سلوكي تحرمه قاعدة مجتمعة سواء كانت هذه القاعدة رسمية او غير رسمية، فان الادمان على الكحول كظاهرة انحرافية تمثل تجاوزاً لهذه القاعدة وخرقاً لها. ونتيجة لذلك، فاننا نستطيع ان نؤكد ان الادمان على الخمر هو ظاهرة المجتمعات التي تحتوي على كثير من العناصر البنائية المتناقضة، والتي تنطوي على انهيار - او على الاقل خلخلة - في النسق القيمي السائد وعدم احلال قواعد اخلاقية بديلة.

ولكي نكشف عن أسباب هذا الوجود المرضي فان علينا ان نعثر عليها في السياق الاجتماعي وذلك لأن الانحراف او الجريمة «وهو هنا الادمان على الخمر» ماهو الا ناتج، او رد فعل لتفاعل اجتماعي سابق.

وبناء على كل هذا نحاول اذن تناول مشكلة ادمان الخمر مركزين على طبيعة التفاعل الداخلي لهذه المشكلة ثم علاقتها بالسياق، وكذا مجموعة المفاهيم والتصورات الاجتماعية (السيكولوجية) التي طورت بشأن هذه المشكلة، ولتحقيق ذلك سوف نعرض لمسألتين هما:

المسألة الأولى:

وتتعلق بديناميات المشكلة وطبيعة بنائها والتفاعلات الداخلة فيها.

المسألة الثانية:

ونعرض فيها لمجموعة المفاهيم والتصورات التي طورتها النظرية الاجتماعية فيما يتعلق بمشكلة الادمان على الكحول. ومن هذه المفاهيم: علاقة المشكلة بالمعايير الاجتماعية، وبالثقافات الفرعية، وبالبناء الطبقي، وبالتصورات الذاتية وصور السلوك الاجرامي، والحضرية والحراك الاجتماعي.

المسألة الأولى: سنعرض هنا لثلاث نقاط اساسية هي:

(١) حجم مشكلة الادمان الكحولى وتواتر حدوثه.

(٢) الآثار العامة للسكر.

حجم المشكلة وتواتر حدوث الادمان:

ان الظاهرة الانحرافية او المشكلة الاجتماعية كما نعرف هي في أساسها عبارة عن مجموعة من الوقائع الفردية التي يقوم فيما بينها نوع من التفاعل الذي يعمل على تخليصها من خصائصها ومستوياتها الفردية الى المستوى الجمعي او الاجتماعي الجديد، وبذلك تتحول الظاهرة الانحرافية او المشكلة الى كيان كلي خارجي يعبر عنه نفسه من خلال ذوات فردية ذات اطارات موقفية محددة. والادمان على الكحول شأنه شأن أى ضرب من السلوك المنحرف ينمو من خلال عملية التفاعل الاجتماعي هذه، ومن خلال الاتصال بالآخرين.

وقد حاولت العديد من الدراسات التي اهتمت بالمشكلة البحث عن العوامل والاسباب التي تقوم وراءها، وحددت في ذلك التصدع الأسري، والتقلب المزاجي، وضعف القدرات العقلية، كما أوضحت أن أهم الدوافع لبدء التعاطي يمكن حصرها في عدة امور هي:

- المجازاة للجماعة او الاصدقاء الشخصيين.
 - البحث عن المتعة او طلب المتعة والراحة النفسية.
 - تقليد الاخرين.
 - حب الاستطلاع.
 - نسيان المتاعب الشخصية.
- وعلى الرغم من أهمية هذه العوامل إلا أن محاولة صياغة تفسيرات سببية ظل يحيطها الكثير من الشكوك؛ لأنها خلصت الى عوامل تبدو غير متجانسة، وظلت محصورة في طائفة من الخصائص النفسية الفردية، واخرى تشير الى بعض الظروف الاجتماعية ولكنها تفتقر الى النظرة التكاملية في التفسير.
- ولقد اهتم التحليل السوسيولوجي بالكشف عن المؤثرات التي يعتقد انها تكشف عن الظروف او الشروط الأكثر حسما والتي تهيب لوجود المشكلة، ومن ثم تحول النظر الى البناءات والسياقات الاجتماعية ليرى كيف تجاوزت

الوقائع الفردية مستواها الفردي العادي الى المستوى غير العادي الذى يكسب الظاهرة خصائصها الاكثر عمومية.

وتكشف الدراسات عن بعض النتائج الجديرة بالذكر، وخاصة فيما يتعلق منها بالوضع المتردية التى تعاني منها المجتمعات - خاصة الغربية - نتيجة لتركز التقدم العلمي والفني فى الجوانب المادية لحياة الانسان دون الجوانب الاجتماعية والانسانية، اى الجوانب التى تتصل بالعلاقات الاجتماعية والانسانية. وتؤكد هذه الدراسات انه مع تقادم الوقت تزداد الشقة بين المجالين، فكلما ازداد التقدم فى العنصر المادي تخلف العنصر الاجتماعي والانساني، وقد انعكس هذا التخلف فى توليد الشعور بالقلق وعدم الاستقرار لدى الانسان، وفى عجز المجتمعات البشرية عن تنظيم العلاقات الاجتماعية بين افرادها، وأدى كل هذا الى عدم ثقة الافراد والجماعات بالنظام والقانون، فظهر التحدى المنظم وغير المنظم وصار العالم يموج بالمشكلات الاجتماعية مثل: تفكك الاسرة، وسوء التربية وفساد اساليب التنشئة، وازدياد الجريمة وانحراف الشباب، بالاضافة الى تفشي الازمات الاقتصادية وانتشار الخمر والمخدرات وغيرها من وسائل الهروب من الواقع الذى اصبح لا يحتمل.

وقد كشفت الدراسات التى اجريت فى الميدان عن واقع مؤلم حقيقة، ففى بلد مثل الولايات المتحدة الامريكية يقدر عدد الذين يشربون الخمر بأكثر من ٧٠ مليون فرد يكلفهم الاستهلاك مبلغاً يزيد على عشرة بلايين دولار سنوياً. ومع ان التعاطي فى هذا المجتمع يلقي بوجه عام قبولاً اجتماعياً فإن حوالي ٦ ٪ تقريباً من مجموع المتعاطين يعانون من الادمان الكحولى وهى نسبة تتزايد بما يربو على المائتي ألف حالة كل عام. كما ان مدمنى الخمر يشكلون حوالي ١٥ ٪ من الذين يلتحقون بمستشفيات الامراض العقلية والمصحات النفسية. كذلك اشارت هذه الدراسات الى ان صور التعاطي الكحولى وشدة هذا التعاطي تختلف باختلاف العمر، والطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الفرد. ونتيجة لعدم الاستقرار النفسى، واختلال المعايير فى هذا المجتمع الامريكى فانه يمكن القول بان تواتر حالات الادمان الكحولى توجد فى الطبقة المتوسطة

والطبقات العليا عنها في الطبقات الدنيا ، وهو تواتر يكثر ويشد في الأربعينات من العمر، ولكنه يوجد بالطبع في المراحل العمرية المختلفة حتى الشيخوخة وان كان نادرا ما يحدث قبل مرحلة المراهقة المتأخرة.

وبصرف النظر عن المشكلات والصعوبات والاضطرابات النفسية فإن ١/٤ عدد المدمنين يعانون من الاضطرابات الجسمية التي ترجع الى الافراط في الشرب لمدد طويلة، وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بمتوسط اعمار المدمنين التي تقل بحوالى ١٢ عاما عن مستوى الاعمار في الولايات المتحدة الامريكية.

كما تشير بحوث اخرى الى حجم الخسائر التي تلحق بالصناعة الامريكية من جراء الادمان الكحولى وهى تقارب ٢ بليون دولار سنويا نتيجة لعوامل الغياب، وانخفاض الكفاءة في العمل وحوادث العمل او الاستهداف المستمر فيها. وعلى الرغم من ان الادمان الكحولى يعد رابع الامراض من حيث الانتشار في الولايات المتحدة الامريكية، فلا يعنى هذا ان المشكلة مشكلة امريكية، او أنها مشكلة محلية، بل هى مشكلة عالمية تعيشها المجتمعات كافة وان يكن بدرجات متفاوتة، فنسبة الادمان بين الايرلنديين والفرنسيين على سبيل المثال اعلى بكثير من الامريكيين، ولكنها أقل بوجه عام عند الايطاليين.^(٩)

وقد دلت احدى الدراسات الحديثة^(١٠) على أن الخمر يرتكب الجرائم بدون تمييز. وتشير هذه الدراسة الى ان أهم اخطار الخمر في الوقت الحاضر هى حوادث السيارات، التي تذهب بألاف الضحايا الابرياء. وفي فرنسا على سبيل المثال كانت نسبة ٦٦٪ من جنایات الاعتداء على الاشخاص بسبب الخمر، و ٨٢٪ من جنایات العنف بسبب الخمر، ٥٢٪ من جرائم القتل بسبب الخمر، ٨٠٪ من المتشردين والمتسولين، و ٧٦٪ من جرائم التعدي على الموظفين الرسميين.

(٩) شحاته ربيع . أصول الصحة النفسية مرجع سابق ص ١٢٦ .

(١٠) حمود الضاوى الشريعة الإسلامية وأثرها في الظاهرة الإجرامية . دار المجتمع العلمى ، جدة ، ١٣٩٨ هـ .

الآثار العامة للسكر:

على العكس من الاعتقاد الشائع وبخاصة عند العامة يعد الكحول عنصرا يؤدي في كثير من الاحيان الى الانقباض والاكتئاب اكثر من كونه ذا اثر مبهج، فهو يهاجم مراكز المخ العليا وعندما تضعف الروابط الانفعالية او تنهار تظهر على الفور استجابات فجأة بدائية حيث يندفع السكر في ارضاء انفعالاته واندفاعاته التي كان يعمقها ويكبتها قبل اقباله على شرب الخمر.

وكما أن ادمان الخمر يؤدي الى تغيرات في طبيعة العلاقات الشخصية بالآخرين، فانه يؤدي كذلك الى ظهور علامات معينة تكون دليلا على الحالة المخمورة التي عليها المتعاطي، وتظهر هذه العلامات كأوضح ما تكون في الاختلال الحركي الذي يصيب الفرد، الى جانب التشوش في الادراك حيث يشعر الخمر بالدفء، وينوع من الامتداد الانفعالي وكونه في احسن الاحوال. وفي مثل هذه الحالة الانفعالية تختلط كافة المعايير والمقاييس، وتبدل الحقائق غير السارة في نظر الخمر بهيجة مرحة، ويبدأ الخمر يتصور ان الجميع قد اصبخوا اصدقاء له، او ان العالم يتحول ليصبح عالما سعيدا ولكنه غير واقعي بالمرّة. ويبقى الخمر طوال فترة تأثير الخمر على هذه الحالة من السعادة الزائفة والانبساط الاجتماعي، وان كان بعض المدمنين يبدو عليهم بعد تعاطي الخمر المزيد من الاحساس بالبؤس فيمضون في عرض ما لديهم من متاعب ومشكلات وهموم والبعض الآخر قد تأخذه سنة من النوم او يبقى في حالة من القلق والتشكك.

ويبدو ان هناك ما يشبه الاتفاق على ان تأثير الخمر يختلف من فرد الى آخر، وذلك تبعا للمكونات الاساسية في شخصيته وحالته الصحية، وكمية الطعام الموجودة في المعدة، والمدة التي تستغرقها عملية التعاطي وكله له تأثير من غير شك. في الفوارق بين الافراد في استجابتهم لتعاطي الخمر وبالرغم من أهمية هذه الآثار العامة للسكر فإن مضار الخمر تتجاوز-في الحقيقة- هذه الاعراض التي أشرنا اليها فما تكاد تصل نسبة الكحول في الدم الى ٢٪ حتى تتأثر المناطق الحركية في، المخ ومن ثم يفقد السكر مهارته وارتائه الحركي والكتابي والكلامي.

وتدل نتائج البحوث على ان مراكز الإبصار تبدأ في التأثر عندما تصل نسبة الكحول في الدم الى ١٪ فيختل التكيف والتميز اللوني والعددي للأشياء، ثم يتأثر المخيخ ويختل توازن الجسم ويترنخ اذا زادت نسبة الكحول عن ذلك. وما ان تبلغ نسبة الكحول في الدم الى ٥٪، حتى يصبح المخ كله تحت تأثير الكحول، وقد يدخل الخمر في غيبوبة تامة وتتوقف الأفعال اللاإرادية، وبعدها يتأثر النخاع المستطيل بمراكزه الحيوية، ويبدأ الهبوط في الدورة الدموية والقلب الأمر الذي يؤدي إلى الوفاة

ولعل مما له دلالة بهذا الصدد انه في خلال الفترة من ١٩٤٦م الى ١٩٥٥م قد اخذت حالات الوفاة بسبب الخمر في فرنسا في الارتفاع بسبب الادمان الشديد المزمن، ونتيجة مباشرة لتلف الكبد واعتلاله، اضافة الى الالتهابات الاحتقانية المزمنة بالغشاء المخاطي المبطن للمعدة. (١)

وقد أدت الدراسات التي اجراها المتخصصون في علم النفس الاكلينيكي والامراض العقلية الى القاء مزيد من الضوء على الامراض النفسية والعقلية المرتبطة بالادمان، ويمكن تصنيف هذه الامراض الى نوعين:

(١) الاضطرابات الحادة.

(٢) الاضطرابات المزمنة.

وفيما يتعلق بالاضطرابات الحادة يمكن التمييز فيها بين اربعة انواع هي: التسمم الكحولي، والهتر، والهلاوس الكحولية الحادة، والذهان، على حين ترتبط الاضطرابات المزمنة أساسا بالمداومة على تعاطي الكحول والاسراف فيه كأسلوب خاطيء للتوافق او التكيف مع مشاكل الحياة. وقد كشفت البحوث عن أن هذا الاسراف عادة ما يصاحبه تدهور في الشخصية، وانحلال تدريجي في الناحية العقلية والخلقية بالاضافة الى الاضطرابات التي تصيب الذاكرة والتوتر في القدرة على التركيز والحكم مما يجعل المريض يتصرف طبقا للخطرة

(١١) د شحانه ربيع، أصول الصحة النفسية، مرجع سابق

الأولى محاولا التقليل من المسؤوليات التي يتحملها، كما يفقد الاهتمام بمظهره العام، ويتجاهل أسرته، ولا يعود يحفل إلا بالشرب الذي يسعى الى الحصول عليه بكل السبل والحيل مما يجعل حياة افراد الاسرة قطعة من الجحيم. وعلى الرغم من أن المريض قد يكون قادرا على ان يخفي- نسبيا- حالته على الآخرين، إلا ان قدرته هذه تتناقص تدريجيا كما تفسد بصورة خطيرة قدرته على الحكم، وبالتالي لا يستطيع الاستمرار في عمله، كما يفشل في التلاؤم مع الظروف المحيطة، ومن ثم يتحول الى كيان مهودود شديد المرض سواء من الناحية الجسمية او النفسية.

٣ - الجوانب المختلفة للادمان الكحولي:

يجمع كثير من الاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين على ان مشكلة الادمان الكحولي لها جوانب ثلاثة هي:

(١) الجانب الفسيولوجي

(٢) الجانب الاجتماعي.

(٣) الجانب النفسي (السيكولوجي).

اولا: جانب الاعتماد (العجز) الفسيولوجي:

تؤدي مداومة التعاطي بكميات كبيرة الى حالة الادمان، لأن المتعاطي عندما يمتنع او يحاول الامتناع يشعر بأمراض جسمية مؤلمة مثل الضعف والغثيان والرعدة، وكلها تشير الى ان عمليات الأيض قد تكيفت واعادت على الكحول، والمقصود بالأيض مجموعة العمليات المتصلة ببناء البروتوبلازما ودورها وبخاصة التغيرات الكيميائية في الخلايا الحية التي تؤمن الطاقة للعمليات الحيوية، وهذا يؤدي بالمدس الى حلقة مفرغة، ذلك ان الافراط يؤدي الى اعتماد فسيولوجي مما يؤدي بدوره الى زيادة الجرعة كوسيلة لمواجهة هذا العجز أو الاعتماد أو لتجنب الأعراض السابقة. وتعبير آخر يمكن القول بأن كل معاقرّة جديدة تكون بمثابة تعزيز للادمان وتثبيت له كما تذهب إلى ذلك نظرية التعليم

ثانياً: جانب الاعتماد (العجز) الاجتماعي:

أصبح تعاطي الخمر من الأمور العادية في كثير من المجتمعات خاصة الغربية، وقد اعتاد الأطفال رؤية الوالدين وهم يتعاطون الخمر دون حرج، وهناك ثلاثة عوامل اجتماعية من شأنها أن تشجع على الادمان في المجتمعات عامة وهي:

- (١) درجة التوتر الذي تخلفه الحضارة المادية.
 - (٢) اتجاه عام من المجتمع نحو التعاطي (التقبل الاجتماعي)
 - (٣) الى اي مدى يعطى المجتمع طرقاً بديلة لتحقيق الراضاء والاشباع وخفض التوترات لدى الافراد.
- وقد أشارت بعض البحوث الى بعض الامور التي تنبئ عن اتجاه الفرد الى الادمان وهي:

(أ) تناولها في الصباح.

(ب) الزيادة المطردة في الاستهلاك وقد تكون تدرجية وغير محسوسة.

(ج) تناولها بحجة أنها عامل يساعد على النسيان.

ثالثاً: جانب الاعتماد (العجز) النفسي:

- إذا كان الادمان من شأنه اتلاف توافق الفرد مع بيئته لأنه يؤدي الى تحطيم صحته الجسمية، وعلاقاته الزوجية، ودوره كأب، وقدرته على اقامة علاقات بناءة سوية داخل الاسرة، فان الخمر يشهد الاقبال عليها (عجز) لعدة اغراض منها:
- ١ - تحسين الروح المعنوية اثناء الشعور بالوحدة.
 - ٢ - الشعور الزائف بالسعادة، والخادع بالكفاية والتخلص من الآلام.

المفاهيم والتصورات النظرية لمشكلة الادمان الكحولي:

إذا كنا قد ركزنا -حتى الآن- على توضيح الطبيعة المورفولوجية والدينامية لمشكلة الادمان على الكحول، فسوف نحاول الان تناول التصورات والمفاهيم

التي طورتها النظرية الاجتماعية فيما يتعلق بهذه المشكلة وذلك لأجل ان تكون احاطتنا بالاسباب أشمل وأكمل. وسوف نوضح ذلك في نقطتين هما:
أ) التصورات والمفاهيم الناقصة او المتميزة.
ب) التصورات الموضوعية.

وفيما يتعلق بالنقطة الاولى فمس المهم ان نشير الى انه قد سادت بعض التصورات الخاطئة فيما يتعلق بهذا المظهر السلوكي الانحرافي، وقد عاق هذا - بالطبع - امكانية مواجهته والتعامل معه بنجاح يحد من آثاره ومضاره الخطيرة

(١) ولعل أول هذه التصورات التي مازالت تمارس تأثيرها محاولة ربط مشكلة الادمان وأسبابها بالمستويات الفردية، وعلى الرغم من ان مثل هذا الفهم قد يسهم في الوصول مع غيره الى تشخيص قد يبدو ملائماً الا ان اطلاقه، او التمسك به على انه التفسير الوحيد او السبب الكافي للمشكلة يفقده علميته. واذا كان في استطاعته تفسير بعض الوقائع الفردية فانه لا يستطيع تقديم تفسير مقنع لإنتشار المشكلة على المستوى الاجتماعي، هذا بالاضافة الى انه لم يعد في الامكان الاعتماد كلياً عند تفسير اى مظهر سلوكي على تلك النظرة الواحدية البعد التي طالما ثبتها بعض العلوم التي تنزع الى التركيز على جانب واحد من جوانب السلوك الانحرافي وتزعم تخصصها بدراسته. ذلك ان السلوك الانساني مركب لا يمكن تجزئته بهذه الطريقة التعسفية، كما ان العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية تمتزج جميعها امتزاجا لا انفصام له حتى ليصبح من أصعب الامور القول بأن ثمة عوامل بيولوجية خالصة او عوامل نفسية او عوامل اجتماعية خالصة

(٢) من الاهمية بمكان الحذر ايضا من بعض التصورات التي تحاول ربط مشكلة الادمان باحدى طبقات البناء الاجتماعي، كالقول الشائع بانتشارها في الطبقات الدنيا او الوسطى، وخطأ مثل هذا النوع من

المفاهيم فإنه يحاول تعميم ما يتعلق بالجزء المتباين على الكلى الشامل على الرغم من أن المجتمعات الحديثة تختلف من الناحية الاجتماعية في وجوه عديدة، وربما لا نجد اختلافات في السلوك اعظم من تلك التي تلحظها في الطبقات الاجتماعية المختلفة والتي تقوم على أسس متعددة مثل: المهنة والدخل، ومحل الإقامة، واسلوب الحياة وما الى ذلك.

3) واخيرا، لا بد ان نذكر ايضا تلك التصورات والمفاهيم التي تسعى الى الربط الجزئى للمشكلة، بمعنى ربطها بنظم او فئات معينة، ففي هذا انكار لحقيقة كون المشكلة أحد عناصر الكلية البنائية، زد على ذلك ان هذا الموقف الجزئى مما يصنع مفارقة حادة بين الاسباب الظاهرة، او الموقفية التي قد تبدو أمام الاستكشاف الفردي وبين الاسباب الموضوعية او الكامنة والتي تعد اكثر أهمية في فهم الظاهرة والتفكير في سبل علاجها او اساليب الوقاية منها.

ب - التصورات الموضوعية:

نتيجة للقصور الذى تعانيه مجموعة التصورات السابقة فيما يتعلق بمحاولة فهم مشكلة الادمان الكحولى، فقد طرحت النظرية السسيولوجية مجموعة من التصورات النظرية التي يمكن النظر اليها على انها تشكل اطارا اكثر موضوعية لفهم المشكلة وتحديد اسبابها وعواملها.

الثقافات الفرعية والجماعات:

يشير اصطلاح الثقافة عموما الى المستويات المعيارية في السلوك، ولما كانت نتائج البحوث تؤكد- صراحة- عدم وجود نمط من الشخصية غير ممثل بطبعه Non-Conformist Type لأن ذلك معناه ان الافراد ينتهكون المعايير بغض النظر عن طبيعتها ومضامينها، لذلك فان عالم الاجتماع في دراسته لمشكلة الادمان يهتم بدراسة العلاقة بين المعايير والقيم التي تنطوى عليها الثقافة العامة والثقافات الفرعية من ناحية، والسلوك الادماني من ناحية ثانية.

وليس من شك في أن الأسرة تلعب الدور الأكبر في تشكيل الشخصية الإنسانية، ولكنها مع ذلك لا تعدو أن تكون إحدى الجماعات التي ترتبط بالسلوك الادماني، أو بالسلوك المنحرف عموماً. فإلى جانب الأسرة يلعب العديد من الجماعات والتنظيمات دوراً بارزاً في ذلك مثل: الحي والجيرة والمدرسة والزمرة وجماعات الأقران، وقد أثبتت إحدى الدراسات الرائدة^(١٢) أن إدمان الخمر يعد نتاجاً لضروب القلق، أو سمات معينة في الشخصية ترجع إلى طبيعة التفاعل المبكر في الأسرة، أو للخبرات الأخرى التي حدثت في مرحلة الطفولة. وفي الاتجاه نفسه أوضحت الدراسات أيضاً أن إدمان الخمر مما يؤدي إلى تغييرات معينة في طبيعة العلاقات الشخصية بالآخرين وفي الإتجاهات نحو تناولها، وقد أيدت نتائج بعض الدراسات هذه القطعية حيث بينت أن الجماعات التي ينتمى إليها الشخص ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأسراره في تناول الخمر وأن الإدمان عليها قد يكون نتاجاً للصعوبات والمشكلات التي تنجم عن الإسراف فيها، كما أوضحت نتائج أخرى أن تناول الجماعي للخمر، وكذا العوامل الثقافية مما يلعب دوراً هاماً في تشكيل الفرد الذي سيصبح مدمناً أو مفرطاً. ويبدو أيضاً أن هناك فروقاً ملحوظة في مدى الإدمان وفقاً لعادات تناول قرناء الفرد لها، وتكشف هذه الفروق عن نفسها إذا ما ربطنا بين حدوث الإدمان على الخمر من ناحية، والنوع والطبقة والمهنة والدين من ناحية ثانية. فنجد في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال أن نسبة مدمني الخمر بين الإيطاليين والنديين ضعيفة بشكل ملحوظ.^(١٣)

ومن المسلم به أن المجتمعات الحديثة تتألف من ثقافات فرعية متباينة، وجماعات مختلفة لكل منها عادة طائفة من المعايير الخاصة بها التي تلقن الشخص ما يمكن أن يقوم به. وقد ذهب كوهن Cohen إلى أن الثقافات

Monnheim, H; Groups Problems in Crime and Punishment, (١٢)
London, Kegan Paul & Co., 1955

Lolli, G; et ol; Alcohol in Italian Culture. Glencoe. III, Free (١٣)
Press. 1958

الفرعية تظهر عادة في المجتمع الذى يتصف بدرجة عالية من التباين وذلك حينما يتفاعل عدد من الاشخاص لديهم مشكلات واحدة او متشابهة.

وقد أفاد هذا التصور في فهم دينامية مدمني الخمر حيث كشفت نتائج بعض البحوث عن أن هناك ثقافات فرعية محدودة تجمع بين مدمني الخمر والمخدرات. بل اننا نستطيع ان نلمس صدق هذا بين ممارسي كل صور الانحراف والاجرام.^(١٤) وان كان من المهم -مع ذلك- ان نشير الى ان طبيعة تصور الفرد لذاته Self-Concept مما قد يبعده عن الارتباط بمعايير الانحراف. وقد أشارت بعض الدراسات الى ان تصور الفرد لذاته على نحو مثالي قد يمارس عليه ضغوطا قوية ، وقد يلعب هذا التصور دورا وقائيا في المناطق التي تتميز بمعدلات انحراف ، وان كان هذا التصور من الناحية الثانية لا يكتسب من الاسرة فقط، ولكن من المدرسة والجيرة والحي.^(١٥)

البناء الطبقي:

وقد أشرنا من قبل الى خطورة تفسير الادمان بربطه بعامل واحد او بربطه بطبقة اجتماعية واحدة، ولا يعنى هذا ان مفهوم البناء الطبقي هو مفهوم عديم الجدوى او الفائدة في فهم السلوك الادماني، وانما المهم في هذا الصدد ان توضع الفروق الطبقيّة-ارتباطا بالسلوك الادماني- في علاقاتها الصحيحة بالنسق الاجتماعي الكلي وما قد يقدمه هذا النسق من اشباعات تساعد على تحقيق الاهداف بالوسائل المشروعة. وقد ذكر كلووارد Cloward وأوهلن Ohlin ان الاقدام على تعاطي الخمر كثيرا ما ينشأ من التفاوت بين ما يرغبه الافراد

Cohen, A; Delinquent Boys – The Culture of the Gang, Glencoe (١٤) III. Free Press. 1955

Cressey, D. (ed.) , The Prison : Studies in Institution Organization and Change. N.Y. Rinehart & Co; 1961

Reckless, W.C; otal; Self – Component in Potential Delinquency (١٥) and Non – Delinquency. Omer, Social Rev. 22. P.P. 566 – 570

وما هو في مقدورهم او في متناول ايديهم، فعندما يرغب الافراد في تحقيق اهداف معينة كالنجاح الاقتصادي مثلا فانهم قد يواجهون الموانع التي تحدد الوسائل الشرعية لتحقيق هذه الاهداف، واذا لم يستطيعوا ان يعيدوا النظر في اهدافهم والطرق المؤدية اليها، فانهم في الاغلب يصابون بالاحباط الذي يلقي بهم في احضان الادمان الكحولي في محاولة يائسة لنسيان الفشل وإغراق همومهم فيه. (١٦)

ومن المتفق عليه ان اساليب تنشئة الطفل وتربيته في الاسرة تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية، وقد دلت نتائج البحوث على أن الاسر الاكثر ميلا الى استخدام العقاب البدني في تربية الاطفال تعد بيئة من اصلح البيئات التي تهيء الشخص للادمان ، ويتضافر في هذا مزيج من العوامل الاجتماعية كالمعاملة الخشنة من جانب الأب، وعدم الرقابة، والشعور المعادي للشخص، والعوامل النفسية كالرغبة في تأكيد الذات والميل الى التخريب والاضطراب الانفعالي والاندفاعي.

عموما، فقد انتهت دراسات الفروق الفردية التطبيقية في السلوك المنحرف الادماني الى ضرورة ادراك المعالجين والمتخصصين والاختصاصيين لطبيعة هذه الفروق التطبيقية، ومعنى ذلك ضرورة توفر متخصص قادر على فهم حياة الطبقات المختلفة.

مفهوم التصور الذاتي:

يعد مفهوم التصور الذاتي من المفاهيم الأساسية في كل من التحليل الاجتماعي للأدوار والدراسة الاجتماعية للانحراف، ويعنى هذا المفهوم ببساطة الصورة التي في اذهاننا عن الذات. ويبدو ان الخبرات الأسرية وحدها لا تلعب الدور الاكبر في تشكيل

التصور الذاتي، ذلك لأنه يخضع للتغيير مع الزمن. فالتصور الذاتي للمدمن الخمر ليس نتاجاً لردود فعل الأب أو الأم فقط، بل كذلك الزوجة ومكان العمل والجيران والأقارب الآخرين، وكذلك الأصدقاء والمعارف. ومن الممكن أن يكون التصور الذاتي لدى البعض وليد الثقافات الفرعية التي ينتمى إليها. وفي ضوء البحوث الاجتماعية التي أجريت حول هذا الموضوع يستطيع الاختصاصيون الاجتماعيون والنفسيون الكشف عن التصورات الذاتية الضارة، وقد تكتسب هذه الجهود مزيداً من العمق والجدية إذا ما دعمتها بعض الهيئات والمؤسسات التي تعنى برعاية المدمنين وعلاجهم.

صور السلوك الاجرامي:

حاول البعض تصنيف السلوك المنحرف في صورة أكثر دقة من تلك الفئات التي قسمته إلى: جناح، واجرام، ومرض عقلي، وادمان خمر ومخدرات. وقد أشارت البحوث المختلفة التي أجريت على ادمان الخمر إلى ضرورة تصنيف المدمنين حيث أنهم يخضعون لعملية نفسية واجتماعية تختلف عن عملية الاجرام العادية أو ادمان على الافيون أو المخدرات، الأمر الذي يعزز الاعتقاد بأن ادمان الكحول ينشأ عن عملية اجتماعية نفسية مغايرة.

الحضرية:

يعد السلوك ادماني نتاجاً لمجموعة من القوى الاجتماعية والثقافية التي ينطوي عليها المجتمع، ومن بين هذه القوى الحضرية Urbanism والقيم التي تنطوي عليها الثقافة العامة للمجتمع المتحضر

وتشير التقارير الحديثة إلى أن المجتمع الصناعي الحديث قد أصبح مسرحاً لظهور المزيد من الدراما الانسانية، وأن الانتشار السريع للحضرية كأسلوب حياة في العالم الغربي قد أدى إلى ارتفاع ملحوظ في معدلات السلوك المنحرف الذي يعد ادمان الكحول أحد مظاهره. كما وأن المادية المفرطة وسائر مظاهر الصراع الثقافي والضعف المستمر في الاتصال المباشر، علاوة على انهيار وسائل الضبط غير الرسمية كلها عوامل تسهم إيجابياً في تشكيل الارضية التي ينبع منها

الانحراف بعامة لدرجة ان البعض قد ذهب إلى أن المجتمع الصناعي الحضري قد أصبح المصدر الاساسي لمختلف المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها البشر (١٧)

الحراك الاجتماعي:

كما تشير الدراسات المعنية ببحث تأثير الحراك لما ينجم عنه من تأثيرات خاصة من حيث ان الاشخاص الذين يحققون حراكا مستمرا يواجهون في الاغلب العديد من الصعوبات والمشكلات، وقد اشارت بعض الدراسات الى ان معدلات الجناح وكذلك طبيعة كثير من الجرائم تختلف مباشرة وفقا لدرجة التحضر وما يصاحبه من ميل للحراك، وكذا الحال فيما يتعلق بادمان الخمر والانتحار.

اذا كنا قد شغلنا انفسنا حتى الآن بمحاولة تقديم نوع من الفهم القائم على التحليل الوظيفي لمشكلة ادمان الكحول فان هذه المحاولة ينبغي الاعتراف بأنها لا زالت تتسم ببعض القصور؛ فمن ناحية وضح ان هذه المحاولة قد ظلت دائما على المستوى النظري، وقد كان من الممكن ان تصبح اكثر تكاملا وفعالية لو أنها استكملت بمجهود تجريبي يسهم مع التناول النظري في فهم اكثر عمقا للمشكلة. ومن الناحية الثانية: فان تأكيدنا على المدخل الوظيفي في فهم المشكلة لا يعنى ابدا انه المدخل الوحيد المتاح لتناول اية ظاهرة بالبحث والدراسة، ولكنها وجهة نظر معينة في مشكلة معينة اعتقدنا ان هذا المدخل يعد اكثر ملاءمة لدراستها، وقد يكون في معالجة المشكلة من وجهة نظر المداخل الاخرى او النماذج النظرية الاخرى اثر ليس فحسب لفهم المشكلة وانما للنظرية السوسيولوجية بعامة. واخيرا فان هذه المعالجة وكما انتهينا فيها حتى الآن لا تعلق في الحقيقة ان تكون نصف القضية ان صح التعبير، ذلك انها وقفت عند حد الرصد والاستكشاف دون ان تتجاوز ذلك الى تقديم الحلول، والواقع انه لا يكون لأي علم، ولعلم الاجتماع بصفة خاصة، اي معنى او قيمة

Wilensky, H; and Ledeaux, C.N. Industrial Society and Social Welfare, N.Y. Russell Sage Foundation. 1968 (١٧)

مالم يقدم لنا المزيد من الاستبصارات التي تساعد على فهم مشكلاتنا الاجتماعية، ويمدنا بالطرق والوسائل والأساليب التي تجعلنا اقدر على السيطرة عليها والتعامل معها.

واستطرادا مع هذا المنطق يلزم اذن ان نتساءل عن طبيعة تلك التدابير الواجب اتخاذها لعلاج المدمن ورعايته، ولتأهيله للعودة الى الحياة السوية. وايضا عما اذا كانت هناك امكانية لاتخاذ التدابير الوقائية التي تحول بين الافراد وبين الوقوع فريسة لهذا الادمان، فالوقاية دائما خير من العلاج كما يقولون. واذا كانت هناك مثل هذه الامكانية فكيف السبيل اليها، وماهي افضل الخطط والبرامج الوقائية لتحقيقها؟

الواقع، انه اذا كان علماء الاجتماع يستطيعون بما لديهم من اهتمامات نظرية واسعة ان يسهموا في دراسة مشكلة الادمان الكحولي، وإن قضية علاج مدمني الخمر ورعايتهم تحتاج - خاصة في الحالات الشديدة - الى تضافر جهود فريق معالج من الاختصاصيين والاطباء النفسيين والاختصاصيين الاجتماعيين، والمرضين المتخصصين على السواء ويمكن القول بوجه عام: ان علاج المدمن يستهدف تحقيق بضعة امور هي:

- (١) التحسين الاجتماعي: ويتضمن تصحيح بعض ظروف المريض الحياتية الاجتماعية والتي من شأنها ان تعوق توافقه.
- (٢) التحسين الجسمي: ويتضمن علاج اي اضطراب جسمي بقصد تحسين الصحة العامة للفرد.
- (٣) التحسين النفسي: ويتضمن تعديل أنماط وأساليب التوافق والاستجابات الخاصة بالمريض، وفتح السبيل أمامه لتحقيق مزيد من النضج النفسي، واستكمال تحقيق الذات بشكل سوي.

أساليب العلاج:

لا يعد المدمن مشكلة بالنسبة الى نفسه فحسب، ولكنه مشكلة أسرية وسيكولوجية وتعليمية واجتماعية واقتصادية كذلك. وفي ضوء هذا الفهم تنقسم المؤسسات العلاجية الى مؤسسات حكومية، واخرى أهلية خاصة، وتتميز المؤسسات من النوع الاول بقلة تكاليفها في الاغلب، وايضا بصرامة نظمها ودقتها، خاصة في تلك الاقسام الابداعية. وان كان من المهم مع ذلك القول بأنه لا يبقى في الابداع سوى تلك الحالات العنيفة التي تحتاج الى معالجة خاصة، وهذا معناه ان الرعاية من الممكن ان تتم في الاسرة وان كان جو الاسرة ذاته يعوق احياناً فعالية العلاج.

وتستخدم لعلاج الادمان الكحولي بضعة اساليب تقوم في مجموعها على أساس فكرة العلاج الفردي او الجماعي وقد ثبت نجاحها بدرجات متفاوتة وهذه الاساليب هي:

- ١) **العلاج السلوكي:** وهنا نجد ما يطلق عليه الاختصاصيون النفسيون الاشراف بالكرهية او بالتحويل الذي يتضمن تعديل اساليب السلوك من خلال العقاب وذلك أن الاساليب السلوكية تصاحبها بعض مشاعر الألم والاحساس بالعقوبة. وفي حالات الادمان الكحولي يعطى المريض جرعات من العقاقير التي تجعله في حالة من الغثيان الشديد عند تناوله الخمر، حيث ان هذه الاستجابة المؤلمة من شأنها ان تثير لديه الشعور بالتقزز والنفور، وتمنع المدمن من الاقبال على الشراب
- ٢) **العلاج المتمركز حول العميل:** تقوم الفكرة اساسا من دافع الفرد الى التكامل وتحقيق الذات ان قمع او أعيق بسبب الادراكات الخاطئة للبيئة المحيطة بالفرد، فلا بد من ازالة هذه العقبات حتى يتمكن الفرد من تقبل ذاته، وان يغير من اسلوب حياته. بمعنى آخر نجد ان المريض يتحمل هنا جزءا اساسيا من المسؤولية في خطة العلاج ونتيجته.

ويتضمن هذا النوع من العلاج بضعة خطوات على النحو التالي:

(١) حضور العميل طلبا للمساعدة: وهذا يعد خطوة أساسية في موقفه العلاج، لأن المريض يتخذ مبادرة لحل مشكلته الأمر الذى يجب تقويته وتغذيته ليزداد اعتماده على نفسه.

(٢) التعبير عن المشكلة دون حرج

(٣) تقبل المريض وتعرفه على ذاته ومشكلاته، وإدراكه للعالم المحيط به بصورة واقعية صادقة.

(٤) الخطوات الإيجابية عندما يدرك المريض أن دور المعالج ليس سوى دور توجيهي.

(٥) إنهاء العلاقة عندما يتدرج المريض في اتخاذ المواقف والاتجاهات، ويدخل في مرحلة الثقة والتكامل، وهنا تبدأ مرحلة تقليل الصلات بالمعالج.

(٣) التنويم المغناطيسى: حيث تعطى للمريض أثناء التنويم أوامر وإجاءات تمثل في أنه يكره الشراب أو التدخين مثلا، ويصحو المريض على ذلك، ولكن للأسف لا يبقى هذا الشعور لمدة طويلة ويحتاج إلى تعزيزه مرات عديدة، ناهيك عن الخطورة التي تتضمنها عملية التنويم ذاتها إذا لم يتم بها متخصصون.

(٤) المستشفى كأسلوب وكمؤسسة علاجية: وينقسم المريض هنا إلى مريض مقيم ومريض متردد، ويتطلب نظام الإيواء المثالي في المؤسسة أو المستشفى أن يكون مجهزا تماما بالأجهزة والمعدات علاوة على الاختصاصيين اللازمين.

ويساهم نظام المستشفى في نجاح العلاج في نقطتين أساسيتين: أولاهما من حيث كون المستشفى مجتمعا علاجيا وثانيتهما من حيث أسلوب العلاج ذاته والخطوات التي يتم بها.

أ) المستشفى مجتمع علاجي : بمعنى أن يتحول إلى مؤسسة علاجية تساهم جميع أجهزتها في العملية العلاجية، أي تتحول إلى طبيب أو اختصاصي معالج وهنا تكون القيود في الحد الأدنى، وتنفذ سياسة الباب المفتوح وحرية الحركة والتنزه للمريض، كما يسمح له بالاشتراك في مختلف النشاطات بغرض أن يشعر بأنه عضو مشارك في مجتمع. وإن لم يمنع هذا من اشراف المعالجين وتوجيههم.

ب) خطوات العلاج: تتضمن الايداع والعلاج والخروج.
— والايدياع قد يكون مؤقتاً أو إجبارياً، أي بناء على طلب المريض أو طلب ذويه

— ثم بعد ذلك مرحلة التشخيص والعلاج، حيث تجرى دراسة لتاريخ حالة المريض وبمحت اجتماعي لظروفه العامة يشارك فيه الاختصاصيون الاجتماعيون والنفسيون.

— أما العلاج فيتم على مرحلتين على المدى القريب والمدى البعيد وتستهدف الأولى تهدئة حالة المريض، والثانية تشمل برامج العلاج المختلفة نفسية واجتماعية وطبية.

— الخروج والمتابعة، وذلك عندما يتحسن المريض فتساعده هيئة العلاج على العودة إلى الحياة الاجتماعية التي تزخر بالمسئوليات والعمل والاعباء

الأساليب والتدابير الوقائية:

لا تنقطع صلة المريض بالمستشفى بعد خروجه وإنما تتم الزيارات الدورية من جانبه أو من جانب الاختصاصيين له وهي زيارات تأخذ في النقصان - على أي الأحوال - مع إكمال توافق المريض مع الظروف الخارجية

وسائل علاجية مساعدة:

هناك بعض الأساليب المساعدة التي اثبتت فائدتها في العلاج، وفي

معاونة المدمن على الرجوع إلى حالته الطبيعية ومن بينها:

أ — العلاج بالقراءة، حيث يشعر المريض باهتمام الآخرين الأمر الذي يقلل من مشاعر السخط على الذات أو الرثاء لها، وبالطبع فإن المادة المقروءة يتم اختيارها بعناية.

ب — الوسائل السمعية والبصرية، حيث تعرض على المريض بعض الأفلام العلاجية.

ج — الأساليب التعليمية، ويقصد بها تعليم المريض بعض المهارات أو مشاركته في أوجه النشاط الثقافي والاجتماعي والترفيهي المختلفة.

د — العلاج بالعمل، حيث ينسى الانسان كل همومه ومتاعبه، ويتمسك في العمل سبيلاً لقهر أحزانه.

قلنا من قبل ان هدفاً أساسياً من أهداف هذه الدراسة هو تسليط بعض الاضواء على الجانب الوقائي في مشكلة الإدمان الكحولي، وربما يكون من المناسب — في هذا المقام — الاتفاق أولاً على ما المقصود بلفظ الوقاية، ولعل أفضل ما يمكن الاستعانة به في السياق الحالي هو ما استقرت عليه منظمة الصحة العالمية من تحديد لمعنى هذا اللفظ وهو ما أوردته المنظمة في تقريرها الفني رقم ٥٢٦ لسنة ١٩٧٣، ويذهب تعريف المنظمة إلى أن الوقاية هي: أي إجراء مخطط له يتخذ من موقف التوقع لمشكلة ماء، أو مضاعفات متعلقة بظرف واقع بالفعل، ويكون الهدف هو الحيلولة بشكل كامل أو جزئي دون حدوث المشكلة أو المضاعفات أو كليهما معا

وحيث يكون الحديث عن الوقاية من الإدمان الكحولي ينبغي أن نضع في الاعتبار تفرقة أساسية بين نوعين من المجتمعات تتحدد في ضوئها التدابير المختلفة التي تحقق هذه الوقاية، ونقصد بذلك المجتمعات الاسلامية التي تحرم

الخمر أصلاً بحكم شريعتها السمحاء ، وغيرها من المجتمعات التي يعد شرب الخمر في حكم قوانينها الوضعية أمراً مباحاً ما لم يحدث من شارب الخمر ما يضر المجتمع ، والواقع أن لنا ملاحظة لها أهميتها بصدد هذه النقطة الأخيرة ، فهذه القوانين الوضعية في أغلب الأحيان لا تعنى بالجريمة إلا بعد وقوعها، وهذا يعنى-ضمننا-أنها لا تحارب إلا النتائج وتترك الأفعال ، ويعزز هذا أنها تبيح شرب الخمر وتعاقب المخمور على ذلك على الرغم من الاعتراف الصريح بأن الخمر مفسدة للصحة، ومضیعة للمال وللعقل، ومفسدة للأخلاق والأعراض على الرغم - كذلك - من كل المعاناة والخسائر المادية وغير المادية التي يعانها الأفراد والمجتمعات من جرائمها

وما من شك في أن كل المجتمعات أياً كانت نظمها وثقافتها تسعى إلى معالجة الجريمة ومنعها قبل وقوعها حرصاً منها على أن تكون مجتمعات سليمة وصحيحة ، ولأجل هذا تسن مع كل يوم المزيد من القوانين والتشريعات التي يكشف التطبيق عن قصورها في تحقيق مراميها ، وبالتالي عن افلاس كل أساليب الضبط والتوجيه والوعظ والارشاد التي تلجأ إليها ويظل التساؤل قائماً : من أين النقص إذن إذا كانت المجتمعات تفعل ذلك؟

إن كثيراً من البلدان التي حاولت منع الخمر وتحريمه ما استطاعت ذلك، لأنها في الحقيقة اعتادت على البذخ والترف واللذة وتجاهلت متطلبات الايمان وحقايقه، وقد منعت الحكومة الامريكية على سبيل المثال-الخمر في بلادها، واستخدمت جميع الوسائل لتبيين مضارها ومفاسدها، ولكن الملايين أنفقت ولم تزد الأمة الامريكية إلا غراماً بالخمر وعناداً في تعاطيها إلى أن اضطرت إلى سحب القانون في عام ١٩٣٣ واباحة الخمر اباحة مطلقة ما الذى يعنيه ذلك إذن ؟ اعتقادنا أنه لا يعنى سوى شيء واحد هو: أن شرب الخمر نتيجة نفسية تعشق الخمر واللذة، وتبعد عن الايمان وتكتفى بالنشوة والمتعة ولا تبالى في الاثم لومة لائم

وتتفق معظم الدراسات على أن التخطيط لرسم سياسة وقائية يستهدف في العادة أمرين اثنين: الأول اعاقا العوامل التي تؤدي إلى التعاطي ، والثاني تنشيط العوامل التي تؤدي إلى عدم التعاطي ، وقد أكدت هذه الدراسات أنه لكي يتم هذا بفعالية فلا بد أن تبنى السياسة الوقائية على محورين ، يدور أولهما حول البيئة على حين يوجه الثاني نحو الأشخاص المدمنين أنفسهم

وفيما يتعلق بالمحور الأول (البيئة) ينبغي التركيز على ثلاثة جوانب أساسية هي:

- (١) الجانب الاقتصادي المتدهور للمدمن والذي يدعم استمراره نتيجة لاضطراره ومحاولته الهروب منه
 - (٢) الجانب الاجتماعي الحيائي
 - (٣) وقت الفراغ الذي يشجع على الانخراط في عادة الادمان والاستمرار فيها
- أما فيما يتعلق بالفرد فانه من الضروري التوقف عند كل من :
- أ) المتعرض للادمان وتعاطي الخمر ولكن لم يسبق له ذلك
 - ب) المدمن نفسه
 - ج) خصائص الجماعات التي ينتمى إليها الفرد، وكذا الفروق الفردية بين المدمنين

وفي داخل هذا الاطار يمكن تحديد بضعة اعتبارات ينبغي الالتفات إليها نظراً لأهميتها في تشكيل اتجاهات وأمزجة الأفراد نحو الاقبال على الخمر، وذلك على النحو التالي :

- (١) من المتفق عليه أن تقدير قيم الأفراد واتجاهاتهم نحو التعاطي أمر له أهميته في رسم سياسة وقائية فعالة
- (٢) من المعروف وفقاً لنتائج البحوث الاجتماعية وبحوث علم النفس الاجتماعي أن الاتجاهات التي تثار وتقوى هي تلك التي تواجه مطالب أساسية وتلبى احتياجات حيوية عند الشخص ، ومن ثم فمن المهم وضع ذلك في الاعتبار عند رسم السياسة الوقائية

٣) من المهم عند وضع برنامج للوقاية من الادمان الاستفادة من نتائج الدراسات المتعلقة بمس توقفوا عن شرب الخمر ، ويمكن البدء بمن بدأوا متأخرين في تناولها.

٤) يمكن اتباع برنامج وقائي متعدد الخطوات من حيث المعلومات التي يتعرض لها الشخص والجماعات التي ينتمى إليها.

٥) ينبغي الاستفادة من التقدم الذي تم احرازه في مجال دراسات تعديل الاتجاهات وتغييرها ، على أن يتم تناول الظاهرة «الادمان» من خلال سياقها الحي بكل ما فيه من تعقيدات، وبكل ما هو متوافر من معلومات، وما هو متاح من معرفة بقوانين السلوك الاجتماعي وضوابطه^(١٨)

وقد يكون بمقدورنا-الآن في ضوء هذا الاستعراض للعلاقات بين الادمان والعوامل المساعدة عليه والاستمرار فيه وللاعتبارات التي ينبغي الالتفات إليها- أن نرسم خريطة على قدر من الوضوح تكون سبيلنا إلى وضع أيدينا على أكفأ الوسائل والأساليب الوقائية ، ولكن على هدى ما يقدمه لنا التشريع الاسلامي من تعليم وتوجيه وذلك اعتقاداً منا أن النظام الاسلامي ككل هو بالدرجة الأولى النظام الوقائي ، ثم بعد ذلك يأتي التشريع الجنائي بمثابة الدواء للداء إذا ظهر ، والنظام الوقائي يبدأ بالتربية والعقيدة والأخلاق والنظام الاجتماعي والاقتصادي التكافلي .

ولقد حرمت الشريعة الاسلامية الخمر تحريماً قاطعاً بالكتاب والسنة والاجماع

ونحن لن نخوض طويلاً في توضيح وجه الاجرام في جريمة الشرب ، فليس هناك أكمل من البيان القرآني في هذا الصدد أو الكيفية الفريدة التي حرمت

(١٨) Lowe, G; Alcoholism and Psychology : Some Recent Trends and Methods , " Alcoholism and Drug Dependence. I.S. Madden – R. Walder, and W.H. Kenyen. (eds) . N.Y. Plenum Press, 1977

الخمير بها فقد جاء الاسلام والناس مولعون بشرب الخمر حتى انها كانت بمثابة جزء من حياتهم ، فنجدته يتدرج معهم في تحريمها ضاربا بذلك الأسلوب الأمثل في معالجة الأمراض الخطيرة لأنها لو حرمت دفعة واحدة لشق ذلك على نفوس الناس وربما لم يستجيب البعض لذلك

وقد أنزل الله في الخمر آيات بينات حيث يقول سبحانه وتعالى: (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً^(١٩)) والسكر هو الخمر كما أنه غير الرزق الحسن، وانه قبيح في ذاته، ومن ثم ينفر الناس منه كما نزل قوله تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما^(٢٠)) أي أن تعاطيها ذنب كبير بسبب ما فيها من أضرار ومفاسد ، كذلك فيهما منافع للناس وهي الربح بالاتجار في الخمر ، وكسب المال دون عناء أو مشقة في الميسر ولكن سبحانه بين أن الإثم فيهما أكبر من منافعهما وفي هذا إشارة إلى تحريمهما؛ لأن ما كانت مضرته راجحة على منفعتها ينبغي أن يكون محرماً ، إلا أن هذا التحريم ليس تحريماً قاطعاً ثم نزل بعد ذلك تحريم شرب الخمر في أوقات الصلاة وأثنائها وذلك تدرجاً مع الناس الذين اعتادوها وألفوها، وليأخذوا إلى الفطام عنها شيئاً فشيئاً وفي هذا يقول جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى^(٢١)) ثم حرمت تحريماً قاطعاً بقوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون^(٢٢)) وقد بينت هذه الآيات الكريمة سبب هذا التحريم وهو أن الخمر رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين المسلمين، وتصرفهم عن ذكر الله وعن الصلاة؛ أي انها مفسدة خلقية واجتماعية ودينية وقد وصف

(١٩) سورة النحل آية ٦٧

(٢٠) سورة البقرة آية ٢١٩

(٢١) سورة النساء آية ٤٣

(٢٢) سورة المائدة ٩٠ ، ٩١

الرسول صلوات الله عليه الخمر بأنها أم الكبائر وأم الخبائث لأنها تزين للانسان الشر وتدفعه اليه

وقد شرع الله العقوبة لمكافحة الجريمة والرذيلة ولصيانة المجتمع من الفساد، وحماية المصالح الأساسية المعتبرة التي أجمعت عليها الشرائع وهي ما تتعلق بحفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال فشرع سبحانه — على سبيل المثال — حد السرقة وقطع الطريق لصيانة الأموال والأنفس، كما شرع حد القذف لصيانة الأعراض وحد الشرب لصيانة العقول^(٢٣)

واستعراض منهج الشريعة السمحاء وتعاليمها يدلنا على أن العقوبة في الاسلام انما تعمل أساسا على منع الجريمة ومكافحتها قبل وقوعها، فالوقاية خير من العلاج ، لأجل هذا فقد أحاطت المسلم من جميع النواحي بحصون منيعة تحميه وتصونه من الانزلاق في مهاوي الرذيلة ، ويتضح ذلك في أكثر من ناحية :

- (١) عنيت الشريعة السمحاء عناية كاملة بتهديب الفرد واصلاح نفسه وتطهير ضميره، وتربيته تربية صالحة، وتغذيته بالمثل الاسلامية السامية والأخلاق العالية، وغرس الايمان في قلبه، وتوجيهه إلى الخير وصرفه عن التفكير في الاجرام والفساد وليس من شك في أن الايمان الصحيح هو السياج المتين ضد ارتكاب الفواحش ، قال عليه السلام: (لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم وهو مؤمن^(٢٤))
- (٢) حذرت الشريعة من ارتكاب المحرمات التي يتردى فيها مرتكبو الجرائم على صورة تثير في النفس المؤمنة الخوف

(٢٣) محمد بن إبراهيم بن جبير دراسة حول معنى الجريمة في الشريعة الإسلامية ومصادر التشريع الإسلامي . الندوة العلمية للدراسة تطبيق التشريع الجنائي وأثره في مكافحة الجريمة في المملكة - الجزء الأول ١٣٩٦ . ص ٤٠ وما بعدها

(٢٤) البخاري بشرحه فتح الباري ج ١٢ / ٥٩

(٣) إن الشريعة حرمت كل ما يفضي إلى الجريمة ويؤدى إليها، فقد حرمت -مثلاً- الزنا وسدت الطرق التى من شأنها أن تثير الشهوة وتحريك الغريزة فحرمت الخلوة بالمرأة الأجنبية ، كما حرمت الخمر ونهت عن التداوى بها سدا لذريعة قربها واقتنائها ومحبة النفوس لها ، بل حرمت الاتجار بها وصناعتها واعانة الأطراف المتعاملة بها . وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن الله الخمر وشاربها وساقبها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه) (٢٥).

(٤) إن العبادات التى أوجبها الله لها أثرها الكبير فى تطهير النفس، وتصفية الروح، ووقايتها من الوقوع فى المعاصى وارتكاب الآثام (٢٦) فالصلاة وقاية للمؤمن من الفحشاء والمنكر قال تعالى : (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (٢٧)

والواقع ان هذا الايقاظ للايمان وتعميقه كان سبباً فى أن يقلع الانسان عن المعاصي؛ فالايمان بالله وباليوم الآخر وبالكتب وبالرسل وبالملائكة كل ذلك من الأسباب التى تبعث فى نفس الانسان امتناعاً عن ارتكاب الاثم خاصة وأن دائرة الايمان غير دائرة القانون حيث انها تحسن الحسن كله وتقبح القبح كله فالخمر كما يراها الاسلام رجس ولو شرب منها الانسان قطرة واحدة أسكرته أو لم تسكره على حين يرى القانون أن السكر جريمة وليس الخمر ، وتكون النتيجة الواضحة لكل هذا أن توجيه الناس إلى الايمان هو اذن الدرع الواقى لهم من الانحراف ولكن التساؤل الأساسى مع ذلك يبقى قائماً وهو : كيف السبيل الى ذلك؟

(٢٥) سنن أبى داود ج ٢ ص ٢٩٢

(٢٦) أنظر فى هذا بحثاً جيداً عن أثر الإيمان والعبادات فى مكافحة الجريمة . الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائى الإسلامى وأثره فى مكافحة الجريمة فى المملكة العربية السعودية ، الشيخ مناع خليل القطان مرجع سابق ص ١٤١ وما بعدها

(٢٧) سورة العنكبوت الآية ٤٥

السبيل في اعتقادنا هو التربية الاسلامية الصحيحة التي يتم بها إنشاء الانسان الصالح، فعن طريق هذه التربية لا تبقى الشريعة مسألة نظرية بعيدة عن التطبيق، ولكنها عملية دائبة ومستمرة تربي الوازع الذي يكون حدامانعا يحول دون ما يوصل إلى الانحراف، وبذلك-أيضا- لا يكون نظام التربية الاسلامية أمراً يوتوييا أو خيالا كما يزعم البعض ذلك أنه ليس خارج الطاقة أو ممتنعا عن التحقيق

وثمة وسائط للتربية الاسلامية هذه . ومن بين هذه الوسائط :

(١) **الأسرة :** تعد الأسرة الوسيط الأساسي من وسائط التنشئة الاجتماعية باعتبارها الوسيلة الطبيعية اجتماعيا للتربية . ومهما كانت هناك من بدائل يخترعها العقل البشري فانها لا ترقى أبداً إلى مستوى الأسرة باعتبارها المنبع والصرح الذي خلفه الله سبحانه وتعالى ليسكن إليه الانسان بين والديه واخوته واخواته ، بين حنان طبيعي وحب إلهي يحوظان بالفرد في حركاته وسكناته ، فالأسرة تعد الجماعة المرجعية الأولى Reference-group للفرد في سلوكياته لذا فانه إذا صلحت الأسرة أدى ذلك إلى ضمانات النجاح في سلوكيات الفرد داخل المجتمع الكبير ، لذلك وجب على كل أسرة مسلمة الاهتمام بالأبناء منذ نعومة أظافرهم اهتماما لا يعطى فرصة لعوامل الانحراف من المجتمع العام أن تنخر في عظام سلوكيات الفرد.

(٢) **المؤسسة التعليمية:** للمؤسسة التعليمية دور هام في تشكيل سلوكيات الفرد سواء كان ذلك على مستوى مدرسة ابتدائية أو على مستوى معهد عال أو جامعة ، فما يتلقنه الفرد من علوم ومعارف ، وما يشاهده من سلوكيات من اساتذته وزملائه يساهم- بلاشك- في تشكيل سلوكياته الخاصة . فإذا كان الأساتذة والزملاء يتحلون بأخلاق الاسلام السمحة أثر ذلك على سلوكيات الفرد داخل هذه الجماعة ، بالاضافة إلى مضمون المناهج ومحتويات البرامج. لذلك وجب علينا أن نكون على وعي تام بما تتضمنه برامج الدراسة في المدارس والجامعات، وأن ننقيها من أية شوائب

تعلق بها، وتساعد على الانحراف ، بل أكثر من ذلك لابد أن نضمها كل ما يؤدي إلى سلامة الأخلاق وصلاحها

من هذا المنطلق يجب مراجعة محتويات البرامج والخطط الدراسية في المدارس والجامعات العربية والاسلامية لتنقيها مما شابها وما علق بها من قصور أو اسفاف نتيجة غزو فكري أو ترجمات لفكر غربي أو شرقي دون تمحيص أو نقد موضوعي

(٣) الاعلام : مما لا شك فيه أن للاعلام دورا أساسيا في تشكيل سلوكيات الفرد، وذلك من خلال وسائل الاعلام المقروءة أو المسموعة أو المرئية ببرامجها ومضامين هذه البرامج خاصة مع التكنولوجيا الحديثة التي من خلالها يمكن نقل الخير والكلمة والصورة خلال دقائق عبر القارات

لذلك كانت وسائل الاعلام من أخطر الوسائل في عمليات (غسيل المخ)، والغزو الفكري ، وللأسف فإن برامج بعض البلدان قد تضمنت الكثير مما يساعد على الانحراف بطريق مباشر أو غير مباشر . ولم يجد الاعلام الاسلامي حتى الآن فرصته في الممارسة وفرض مضامينه، والدليل على ذلك ان بعض الأحداث الاسلامية تنقل لبعض البلاد الاسلامية من خلال وكالات أبناء أجنبية تشوه الأخبار المنقولة عن البلاد الاسلامية وإليها ناهيك عن ما تتضمنه برامج الاعلام الغربي والشرقي لمحاولة تشويه الدعوة الإسلامية وقيم الاسلام السمحة، وغرس قيم بديلة رخيصة مستوردة تدفع الفرد بطريقة أحيانا مباشرة وأخرى غير مباشرة إلى الانزلاق في هاوية الانحراف، والابتعاد عن سلوكيات الاسلام وقيمه وبناءً على ذلك وجب مراجعة برامج وسائل الاعلام في البلدان الاسلامية لتكون متمشية ومنطلقة من منطلق إسلامي وصدق الله العظيم حين قال: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

وإذا كانت هناك بعض التوصيات لعمليات العلاج والوقاية من الادمان الكحولى يمكن طرح بعضها فيما يلي :

(١) إجراء دراسات وبحوث ميدانية على مدمنى الخمر في أكثر من مجتمع من مجتمعاتنا العربية والاسلامية حتى يمكن الوقوف على أصل الداء من

خلال استتار غور المتعاطين أنفسهم

- (٢) تعميم العيادات النفسية، ومراكز التوجيه النفسي والاجتماعي
- (٣) اقامة أسبوع توعية على المستويين الحكومي والشعبي للتعريف بأضرار الادمان
- (٤) إعداد أفلام تسجيلية عن أضرار تعاطي الخمر والمخدرات
- (٥) تنشيط وسائل الاعلام لقيامها بدور أكثر فعالية لمحاربة تعاطي هذا المنكر
- (٦) تضمين المناهج والبرامج الدراسية في بعض المستويات بعض ما يتعلق بامان الخمر والمخدرات وكيفية محاربتها والتخلص من تعاطيها
- (٧) إعداد زيارات ميدانية لطلاب المدارس والجامعات لمصحات علاج المدمنين

خلاصة القول: ان مشكلة الادمان الكحولي مشكلة ذات أبعاد عديدة، ولا يمكن وضع تصور لعلاجها أو الوقاية منها بطريقة منفردة يتفرد بها أصحاب تخصص معين وان برزت أهمية هذا التخصص، والعلاج الحقيقي يأتي من خلال فريق عمل وفريق بحث نفسي طبي واجتماعي على أن يكون في مقدمة هؤلاء رجال الشريعة الاسلامية الذين على درجة من الوعي والكفاية بأبعاد المشكلة وآثارها خاصة وأن الاسلام بقيمه وتعاليمه قد اثار السبيل وليس في غيره غناء أو بديل

والله ولي التوفيق ،،،

أبحاث الندوة

البحث الخامس

أساليب الشريعة الإسلامية في مكافحة تعاطى المسكرات

الحمد لله الذى هدانا للاسلام ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ،
والصلاة والسلام على من بعثه الله لهداية البشرية وانقاذها من الضلال ، وعلى
آله وأصحابه ومن سار على نهجه والتزم بشريعته إلى يوم الدين

وبعد :

فلقد حرصت الشريعة الاسلامية على تطهير المجتمع الاسلامي ، والسمو به
إلى المنزلة التى تتناسب مع المكانة التى أرادها الله لبني الانسان
(ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً)

ولتحقيق ذلك الغرض حرمت كل ما من شأنه النيل من هذا المجتمع
والانحطاط به ، وفي مقدمة تلك الأشياء التى وردت النصوص بتحريمها :
الخمر وما فى حكمها مما هو مزيل للعقل ، وقد اتخذت أساليب متعددة لمحاولة
ظاهرة تعاطي المسكرات

وقبل تناول تلك الأساليب يجدر بنا في بداية هذا البحث أن نورد نبذة
موجزة عن الخمر

الخمر فى اللغة : مأخوذة من الخامرة^(١) ، وهى المخالطة ؛ لأنها تخالط
العقل مما ينشأ عن ذلك خلط فى التفكير والتصوير، وعدم التمييز بين حقائق
الأشياء ، وهى فى عرف الشرع لا تختلف عنها فى عرف أهل اللغة على
الصحيح من أقوال العلماء

وقد وردت أحاديث متعددة تدل على أن الخمر فى عرف الشرع اسم لكل
ما أسكر دون اعتبار للمادة التى استمد منها

وقال عليه الصلاة والسلام : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) رواه أبو

(١) مختار الصحاح ص ٢١٨

داود والترمذى^(١) وقال عليه الصلاة والسلام : (ان من الخنطة خمرا ، ومن الشعير خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا ، ومن العسل خمرا) أخرجه أبو داود والدارقطني^(٢)

وعن ابن عمر عن عمر قال : (نزل تحريم الخمر يوم نزل ، وهي من خمسة أشياء من العنب والتمر والعسل والخنطة والشعير ، والخمر ما خامر العقل) أخرجه أبو داود^(٣)

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن كل ما أدى إلى الاسكار يسمى خمرا ، سواء كان من عصير العنب أو غيره

ولما كانت الشريعة الاسلامية حريصة على سد الذرائع واستئصال أسباب الجرائم من جنورها ؛ لذا حرمت شرب قليل الخمر وكثيرها^(٤) وان كان القليل لايسكر لأن اباحة شرب القليل ربما أدى إلى الاستهانة شرب الكثير اذ النفس البشرية لا تقف عند حد معين ، فكان تحريم الكل أكثر ملائمة لطبيعتها قال عليه الصلاة والسلام : (ما أسكر كثيره فقليله حرام) أخرجه أبو داود والترمذى^(٥)

وقال عليه الصلاة والسلام : (ما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام) أخرجه الترمذى^(٦)

أساليب الشريعة الاسلامية في مكافحة تعاطي المسكرات :

لقد اتخذت الشريعة الاسلامية أساليب متعددة لمكافحة تعاطي المسكرات والنع من ترويجها وذلك ادراك من هذه الشريعة لما يترتب على تناولها من أضرار جسيمة تلحق بالفرد والمجتمع

(١) سنن أبي داود ٢/٢٩٣ ، سنن الترمذى ٤/٢٩٠

(٢) سنن أبي داود ٢/٢٩٣ ، سنن الدار قطني ٢/٥٣٢

(٣) سنن أبي داود ٢/٢٩١

(٤) المغنى ج ١٠ ص ٣٢٨ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٤٤

(٥) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٩٤ : صحيح الترمذى ج ٤ ص ٢٩٢

(٦) صحيح الترمذى ج ٤ ص ٢٩٣

وأن تطبيق تلك الأساليب على وجه صحيح كفيل بحماية المجتمع من
تفشي المسكرات بين أبنائه

وستتناول بشيء من الإيجاز تلك الأساليب

أولاً : تقوية الإيمان في النفوس .

إن تقوية الإيمان في نفس المسلم ، والتركيز على بيان كمال الشريعة وسموها
وتحقيقها لمصالح العباد المختلفة ، والربط بين الأحكام الشرعية وبين الأحكام
التشريعية التي من أجلها شرعت تلك الأحكام يعد من أقوى العوامل التي تؤدي
إلى الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية ، وعدم الخروج عليها أو الاستخفاف
بها على أي وجه من الوجوه ، لذلك عني الإسلام بهذا الجانب عناية خاصة
حيث وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تؤكد ، وتلفت الانتظار إليه .
قال جل ذكره : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(١) وقال تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ، فنفترق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون)^(٢)

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ،
فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا
منكم شريعةً ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم
فاستبقوا الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن
احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما
أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيراً
من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم
يوقنون)^(٣)

(١) سورة المائدة : آية ٣

(٢) سورة الأنعام : آية ١٥٣

(٣) سورة المائدة : آية ٤٨ - ٥٠

وقال عليه الصلاة والسلام : (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) .

فهذه النصوص وغيرها كثيرة في الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على كمال هذا الدين ، ووجوب الالتزام بتشريعاته في مختلف مجالات الحياة ، وأن التقصير في ذلك سبب لغضب الله في الدنيا والآخرة

ان التأكيد على هذه الحقيقة كفيلا بأن يمنع المسلم من اقتراح المحرمات وفي مقدمة ذلك المسكرات، التي جعل الله اجتنابها سببا للفلاح.

(يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر، والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون).^(١)

ووصفها رسول الله ﷺ : بأنها أم الخبائث ومنافية للإيمان

قال عليه الصلاة والسلام: الخمر أم الخبائث.^(٢)

وقال «لا يزي الزاني حين يزي وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»^(٣) اخبره البخاري

ثانيا: المنع من مجالسة الذين يعاطون المسكرات وخاصة وقت تناولهم لها: ان من بين الاساليب التي اتخذتها الشريعة الاسلامية لمكافحة المسكرات والقضاء عليها، تحريم مجالسة شاربيها، واعتبار المجالس شريكا معهم في الاثم.

قال جل ذكره : (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويُسْتَهْزَأُ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ،

إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا)^(٤)

(١) سورة المائدة آية ٩٠ - ٩١

(٢) الكبائر ص ٨٠

(٣) صحيح البخاري بهامش فتح الباري ٤٦/١٢

(٤) سورة النساء : آية ١٤٠

روى الطبري قال: حدثني المثني قال: حدثني اسحاق قال: حدثني عبدالله بن ادريس عن العلاء بن المنهال عن هاشم بن عروة قال: أخذ عمر بن عبدالعزيز قوما على الشراب فضرهم وفيهم صائم. فقالوا: ان هذا صائم فتلا: فلا تفعلوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم.^(١)
قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعت آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها.. الآية).

مانصه: استدل بهذا على وجوب اجتناب اصحاب المعاصي اذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر. قال الله عز وجل (انكم اذا مثلهم). فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي ان ينكر عليهم اذا تكلموا بالمعصية او عملوا بها، فان لم يقدر على النكير عليهم فينبغي ان يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.^(٢)

وقال الجصاص عند تفسيره لقوله تعالى: (فلا تفعلوا معهم) وفي هذه الآية دلالة على وجوب انكار المنكر على فاعله، وان من انكاره اظهار الكراهة اذا لم يمكنه ازالته وترك مجالسة فاعله والقيام عنه حتى ينتهي ويصير الى حال غيرها.^(٣)

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك، ثم يلقاه في الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر

(١) تفسير الطبري ج ٦ ص ٣٢١

(٢) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٤١٨

(٣) الجصاص ج ٢ ص ٢٨٩

فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم.. الى قوله: فاسقون. ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد ظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا، او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم.. رواه ابو داود والترمذى. وقال: حديث حسن، وهذا لفظ أبى داود.^(١)

ففى هذا الحديث تحذير عن مجالسة اصحاب المعاصي، ويدخل فى ذلك شاربو المسكرات دخولا اوليا.

إن مقاطعة من يتعاطون المسكرات والبعد عن مجالستهم واشعارهم بنبذ المجتمع لهم واستهانته بهم، يعد من اقوى العوامل المؤدية الى إمتناعهم عما هم عليه، ومن ثم القضاء على انتشار المسكرات او الحد من انتشارها- على أقل تقدير- وادراك من الشريعة الاسلامية لأهمية هذا الاسلوب فى معالجة ظاهرة السكر أولته عنايتها الخاصة كما تدل عليه النصوص الآنفه الذكر

ثالثا: منع صناعة المسكرات او الاتجار بها او الاعانة عليها بأي وجه من الوجوه:

ان من بين الاساليب التى اتخذتها الشريعة الاسلامية للقضاء على المسكرات تحريم صنعها او الاتجار بها أو الاعانة عليها. حيث عدت ذلك من الكبائر المستوجب على مرتكبها لعنة الله وسخطه فى الدنيا والآخرة. فعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: لعن الله الخمر وشاربها وساقها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها.. رواه أبو داود.^(٢)

ففى هذا الحديث دلالة ظاهرة على عظم اثم كل من اعان على شرب المسكرات بصورة مباشرة أو غير مباشرة.. حيث ان الاعانة على ذلك اعانة على الاثم والعدوان، وهو ما نهى عنه جل ذكره بقوله: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا

(١) رياض الصالحين ص ١٢٩

(٢) سنن أبى داود ٢٩٢/٢

رابعا: منع الترويج للمسكرات او الدعاية اليها بأي وسيلة من الوسائل: لقد أدركت الشريعة الاسلامية ما للدعاية من أثر في نفوس الناس، لذا منعت الشعراء من وصف الخمر في أشعارهم كما جرت عليه عادة شعراء الجاهلية وأوجبت على من يفعل ذلك عقابا رادعا، يدل على ذلك ما فعله سعد ابن أبي وقاص مع أبي محجن حينما قال مشيرا إلى الخمر

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقتها
ولا تدفني في القلا فإنني أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

حيث سجنه ومنعه من الاشتراك في القتال يوم القادسية، وقصته في تلك المعركة مستفيضة بين الناس، وقد أقر الصحابة سعدا على سجنه لأبي محجن، ولو لم يكن ذلك مشروعا، لما أقدم عليه سعد، ولما أقره الصحابة على ذلك، مع أن ما قاله ابو محجن ليس صريحا في الدعوة الى الخمر.

وإذا كان هذا هو موقف الصحابة - رضي الله عنهم - من هذا الكلام المحتمل لأكثر من معنى، فكيف يمكن ان يكون موقفهم من الكلام الصريح الذي لا يتحمل التأويل كتلك الاعلانات عن أنواع المسكرات المختلفة التي تنشر هذه الأيام في كثير من البلاد الإسلامية بمختلف السبل والوسائل؟

خامسا: التنبيه الى المضار المترتبة على تناول المسكرات:

لقد بين الله - جل ذكره - عند تحريمه للخمر الاضرار المترتبة على شربها، ليكون ذلك دافعا للمؤمن الى امتثال ما أمر به؛ ذلك ان النفس البشرية السليمة تنفر بطبيعتها مما فيه ضرر بها اذا تبين لها ذلك بشكل جلي.

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) ؟ (١)

فقد بين الله تعالى في هذه الآية بعض الأضرار المترتبة على شرب الخمر، فهي موروثة للعداوة والبغضاء بسبب ما قد يصدر من الشارب اثناء سكره من أقوال او افعال تضر بالآخرين، ثم هي مشغلة عن القيام بالواجبات الدينية والدنيوية (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة).

هذا علاوة على ما ينشأ عنها من امراض اجتماعية وبدنية والتي أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عن الخمر: انما هي داء وليست بدواء. (٢) جوابا لمن سأله عن التداعي بالخمر.

سادسا: مؤاخظة الشارب بما يصدر عنه من التصرفات اثناء سكره:
ان من الاساليب التي انتهجتها الشريعة الاسلامية لمكافحة المسكرات اعتبار التصرفات الصادرة عن الشارب اثناء السكر المتعمد كالتصرفات الصادرة اثناء الصحو، وذلك بالنسبة إلى ترتيب الاحكام عليها، ومؤاخظة من صدرت عنه بمقتضاها دون اعتبار لوجود العقل او عدم وجوده، ذلك ان السكران قد تسبب في زوال عقله باختياره، فوجب ان يتحمل تبعه ما صدر عنه حيث إن تناول المسكرات معصية لله ، والمعصية لا يمكن اعتبارها سبباً للتخفيف

وبناء على ذلك نص الفقهاء على وجوب معاقبة السكران على ما يصدر عنه من الجرائم اثناء سكره، سواء كانت تلك العقوبة حق لله او

(١) سورة المائدة : آية ٩٠ ، ٩١

(٢) صحيح مسلم ١٥٧٣/٣

للآدميين.^(١) يدل على ذلك ما رواه ابو وبره الكلبي قال: ارسلنى خالد بن الوليد الى عمر - رضى الله عنه - فأتيته في المسجد ومعه عثمان وعلي وعبدالرحمن وطلحة والزبير - رضى الله عنهم - فقلت: ان خالدا يقول: ان الناس قد انهمكوا في الخمر، وتحاقروا العقوبة، فقال عمر: هم هؤلاء عندك فاسألهم، فقال على: نراه اذا سكر هذى واذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدة. فقال عمر ابلغ صاحبك ما قال « أخرجته أبو داود بمعناه^(٢) »

فقد جعل الصحابة - رضوان الله عليهم - السكران كالصاحي، وأوجبوا عليه الحد إذا قذف في حالة سكره، وهذا يدل دلالة ظاهرة على ان السكران مؤاخذ بما يصدر عنه من قول او فعل.

وروى يحيى بن سعيد الانصاري، وعبدالرحمن بن أبى الزناد ان معاوية اقاد من السكران - قال ابن ابى الزناد. وكان القاتل محمد بن النعمان الانصاري، والمقتول عمارة بن زيد بن ثابت. رواه ابن حزم.^(٣)

وروى مالك في الموطأ^(٤) انه بلغه ان مروان بن الحكم كتب الى معاوية بن ابى سفيان يذكر انه أتى بسكران قد قتل رجلا، فكتب اليه معاوية أن يقتله به. فهذان الاثران يدلان على ان السكران يؤاخذ بما يصدر عنه من التصرفات اذ لو لم يكن مؤاخذاً بما يصدر عنه لما أمر معاوية بقتل القاتل قصاصاً. مع أنه قتل حالة السكر، ولما اقره الصحابة على ذلك. ان ادراك مرید السكر انه مؤاخذ بما يصدر عنه في حالة سكره يدفعه إلى الأمتناع عن تناول السكر مخافة ان تصدر عنه بعض التصرفات التي يرتب الشرع عليها آثار بعيدة المدى.

(١) الشرح الكبير ٣٥١/٩ ، زاد المعاد ٨/٤ ، الأم ٤/٦ ، المهذب ١٧٣/٢ ، مغنى المحتاج ١٥/٤ ، تبين الحقائق

١٩٧/٣ ، البحر الرائق ٢٧٢/٧ ، درر الحكام ٧٠/٢

(٢) سنن أبى داود ٤٧٥/٢

(٣) المحلى ١٠/٢

(٤) الموطأ بهامش المنتقى ١٢٠/٢

سابعاً: العقوبة البدنية:

لقد أوجب المشرع الحكيم عقوبة محددة تطبق على من يتعاطى المسكرات إذا توفرت في الشارب شروط معينة منصوص عليها في كتب الفقه^(١) وتلك العقوبة هي الجلد.

ومع ان الفقهاء قد اختلفوا في مقدارها، الا انهم متفقون على أنها لا تقل عن اربعين جلدة، وقد وردت في بيان تلك العقوبة نصوص متعددة.

روى أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الخمر بالجريد والنعال، وجلد ابوبكر اربعين، متفق عليه^(٢). وعن الحصين بن منذر ان عليا قال في قصة جلد الوليد بن عقبة حينما شرب الخمر جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين، وأبوبكر اربعين، وعمر ثمانين كل سنة، وهذا احب إلي. رواه مسلم وأبو داود^(٣).

وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو اربعين. قال: وفعله ابوبكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبدالرحمن أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر رواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه^(٤).

فهذه النصوص وغيرها تدل دلالة ظاهرة على وجوب معاقبة الشارب بالجلد، ومن المسلم به ان جلد الشارب يعد من اقوى الأسباب المانعة له من معاودة ذلك الفعل ، بل قد ورد في بعض النصوص الأمر بقتل الشارب اذا تكرر منه الشرب أربع مرات.

روى معاوية بن ابى سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثم ان شربوا فاجلدوهم، ثم ان شربوا فاجلدوهم، ثم ان شربوا فاقتلوهم. اخرجه أبو داود^(٥).

(١) بدائع الصنائع ٤١٦٤/٩ ، منتهى الازادات ٤٧٦/٢ ، المهذب ٣٠٤/٢ ، القوانين الفقهية ص ٣٦١

(٢) صحيح مسلم ١٣٣١/٣ ، سنن أبو داود ٤٧٢/٢

(٣) صحيح مسلم ١٣٣١/٣ ، سنن أبو داود ٤٧٣/٢

(٤) صحيح مسلم ١٣٣١/٣ ، صحيح الترمذي ٤٨/٤

(٥) سنن أبي داود ٤٧٣/٢

وان كان المختار عند فريق من العلماء ان القتل في الشرب منسوخ.

ثامنا الوعيد بالعقاب الآخروي:

ان من بين الاساليب التي انتهجتها الشريعة الاسلامية في القضاء على المسكرات التنبيه الى العقاب الآخروي الذي يترتب على شربها، وذلك ان المؤمن بالحساب والجزاء يجعل العقوبة الآخروية في المقام الاول. لذا أكد المشرع على هذا الجانب بصفة خاصة نظرا للأثر الكبير الذي يورثه التخويف بالعقاب الآخروي في النفس المؤمنة.

روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل مخمر خمرة وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخصت صلاته أربعين صباحا، فان تاب تاب الله عليه، فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل: «وما طينة الخبال يارسول الله؟ قال: صديد أهل النار. اخرجه ابو داود والترمذى واللفظ لأبي داود. (١)

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شرب الخمر في الدنيا حرمها في الآخرة رواه مسلم. (٢)

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مدمن الخمر كعابد وثن. رواه الامام أحمد في مسنده. (٣)

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مدمن الخمر كعابد وثن. رواه الامام أحمد في مسنده. (٤)

وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمرة، وفي رواية ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث، وهو الذى يقر السوء فى أهله رواه النسائى واحمد والحاكم.

(١) سنن أبى داود ٢/٢٩٤، صحيح الترمذى ٤/٢٩١

(٢) صحيح مسلم ٣/١٥٨٨

(٣) الكباثر ص ٨١

(٤) الكباثر ص ٨١

فهذه الاحاديث وغيرها مما هو وارد في أمهات كتب الحديث والتي يضيّق المقام عن حصرها تدل دلالة ظاهرة على عظم إثم شارب الخمر وخاصة المدمن لها.

على أن الوعيد الوارد في تلك الاحاديث انما ينطبق على من مات ولم يتب عن شرب الخمر، كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة الا ان يتوب. «رواه مسلم»^(١)
هذه بعض الاساليب التي انتهجتها الشريعة الاسلامية في مكافحة المسكرات وتطهير المجتمع منها.

وان من يعمن النظر في ذلك يظهر له بجلاء مدى حرص الشريعة الاسلامية على القضاء على ظاهرة شرب المسكرات.

لذلك أرى ان من المتعين على السلطات المختصة في مختلف البلاد الاسلامية اتخاذ الاجراءات التالية تطبيقا لأمر الله، وأمر رسوله.

اولا: منع الاعلانات التي تدعو الى المسكرات دون اعتبار للجهة الصادر عنها.

ثانيا: اغلاق الاماكن التي تقوم ببيع المسكرات، اوتقديمها لروادها بأى شكل من الاشكال.

ثالثا: العمل على تطبيق عقوبة الجلد في مختلف البلاد الاسلامية، والاعلان عن ذلك في وسائل الاعلام المختلفة، ليكون ذلك أدمى للارتداع.

رابعا: التركيز على بيان مضر الخمر الدينية والاجتماعية والصحية.

خامسا: تشديد الرقابة على مداخل البلاد البرية منها والبحرية والجوية حتى لا يُهْرَب شيء من المسكرات عن طريق تلك المنافذ.

سادسا: مقاطعة الحفلات التي تقيمها الدول الاجنبية والتي تتضمن تقديم بعض المسكرات للحاضرين.

(١) صحيح مسلم ١٥٨٨/٣

- سابعا: التأكيد على الاقليات غير الاسلامية المقيمة في البلاد الاسلامية بعدم شرب المسكرات او بيعها بشكل ظاهر.
- ثامنا: منع عرض الافلام والتمثيلات التي تقدم فيها المسكرات لما لذلك من أثر سييء في نفوس المتابعين لها، وخاصة صغار السن.
- تاسعا: عدم نشر او تدريس القصائد التي تتضمن وصفا للخمر يستوى في ذلك القديم منها والحديث.
- عاشرا: انشاء صندوق مالي لتمويل الدراسات التي تجرى للكشف عن اضرار المسكرات والمساعدة على نشر تلك الدراسات.
- وفي الختام اضرع الى الله العلي القدير ان يرزقنا الفهم الصحيح لشريعته، والعمل بمقتضى احكامها، وان يهدينا سواء السبيل، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

أهم المراجع

(١) القرآن الكريم

كتب التفسير

- (٢) احكام القرآن - لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتب العربية، بيروت.
- (٣) تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٧م.
- (٤) تفسير القرطبي المسمى الجامع في الاحكام - لأبي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ الطبعة الثالثة - طبعة دار الكتب المصرية.

كتب الحديث

- (٥) الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذى - الطبعة الاولى ١٣٨٣ - ١٩٦٣م، مطبعة مصطفى الباني الحلبي.
- (٦) رياض الصالحين - لأبي زكريا محي الدين النووي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- (٧) سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى ٢٧٥هـ مطبعة مصطفى الباني الحلبي، الطبعة الاولى ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- (٨) صحيح مسلم - لأبي الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، نشر: ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية.
- (٩) صحيح البخارى - لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى مطبوع بهامش فتح البارى، المطبعة الخيرية، الطبعة الاولى سنة ١٣١٩هـ.

- (١٠) الكبائر - لأبي عبدالله محمد بن احمد الذهبي، نشر: دار الكتب الشعبية، بيروت.
- (١١) الموطأ - لأبي عبدالله مالك بن انس الاصبحي، مطبوع بهامش المنتقى، مطبعة السعادة سنة ١٣٣٢هـ.

كتب الفقه - المذهب الحنبلي

- (١٢) زاد المعاد في هدى خير العباد - لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر، الشهير: بابن القيم الجوزية - تحقيق محمد حامد الفقي.
- (١٣) الشرح الكبير على متن المقنع - لشمس الدين ابي الفرج عبدالرحمن بن قدامة، مطبوعات الرياض ١٣٧٦هـ.
- (١٤) منتهى الارادات - لتقى الدين محمد بن احمد الفتوحى، مطبعة دار الجيل للطباعة ١٣٨١هـ.
- (١٥) المغنى - لأبي محمد بن عبدالله بن قدامة - مطبعة المنار.

المذهب الحنفى

- (١٦) البحر الرائق - لزين الدين بن نجيم، المطبعة العلمية ١٣١١هـ.
- (١٧) تبين الحقائق - لفخر الدين عثمان الزيلعى، المطبعة الاميرية، الطبعة الاولى ١٣١٣هـ.
- (١٨) درر الحكام - للقاضي لنلا خسرو، مطبعة الشرقية ١٣٠٤ هـ ، المذهب الشافعي
- (١٩) الأم - لأبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعى، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، مطبعة دار الشعب ١٣٨٨هـ.
- (٢٠) مغنى المحتاج - لمحمد بن محمد بن احمد الشرينى، مطبعة مصطفى محمد.
- (٢١) المهذب - لأبي اسحاق ابراهيم بن على الشيرازى، مطبعة عيسى البانى الحلبي.

المذهب المالكي

(٢٢) بداية المجتهد - محمد بن احمد بن رشد، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

(٢٣) القوانين الفقهية - لأبي القاسم محمد بن احمد بن جزي، مطبعة النهضة بفاس، المغرب سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.

المذهب الظاهري

(٢٤) المحلى، لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم - نشر: مكتبة الجمهورية سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

أبحاث الندوة
البحث السادس
سبل علاج الإدمان على المسكر

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على رسول الله يسرني أن أشارك في هذه الندوة بالتحدث عن سبل علاج الادمان على الكحول، وبودي أن أشير - في بداية هذا الحديث- إلى أن هذا الموضوع يتناول المشكلة من الجانب العلاجي الطبي البحت وهو يتطرق إلى علاج الحالة التي وصلت بطريق أو آخر إلى مرحلة الادمان وكذلك يجب التركيز على نقطة هامة وهي أن هذه الأبحاث والأساليب العلاجية كلها مصدرها دراسات وأسابيل علاجية تم تطويرها في المجتمع الغربي لعلاج حالات الادمان المنتشرة هناك بشكل كبير.

الاضرار الناجمة عن الادمان على الكحول :

انه من المناسب جداً قبل التطرق إلى الحديث عن سبل علاج الادمان على الكحول أن نستعرض باختصار بعض الاضرار الناجمة عن الكحول؛ فالدراسات والأبحاث الحديثة قد بدأت تدل على أمراض كثيرة تنجم عن الادمان على الكحول ، بعض هذه الأمراض يكون ناتجاً عن التأثير المباشر للكحول على الأنسجة، والبعض الاخر يكون نتيجة سوء التغذية التي يسببها الادمان على الكحول.

فمثلاً: قد ثبت ان الكحول تسبب تغيرات في التركيب الهستولوجي للغشاء المبطن للأمعاء، مما ينتج عنه اقلال كفاءتها الامتصاصية بالاضافة الى إقلال حركة الامعاء، كذلك فهو يؤثر على الميتابولزم Metabolism داخل الخلية لكل من فيتامين ب ٦، الفوليت، الحديد، وكذلك يقلل امتصاص فيتامين ب ١٢ أضف الى ذلك ان الالتهاب المزمن في المعدة والذي عادة يصاحب الادمان على الكحول يضاعف من الافتقار لهذه الفيتامينات بالاضافة الى المغنيسيوم والحديد وبعض الاحماض الامينية الاساسية.

والآن لنستعرض سريعاً بعض تأثيرات الادمان على الكحول على بعض اعضاء الجسم:

١ - الكبد :

ان من أوضاع الاضرار التى يسببها الادمان على الكحول للكبد هو تراكم الدهن والتى تبدو اكلينيكيًا على هيئة تضخم فى الكبد مع تغير طفيف فى وظائف الكبد ونادرا يرقان خفيف.

المرحلة التى تلى تدهن الكبد هى حدوث التهاب فى الكبد Hepatitis والذى دائما يسبق المرحلة النهائية ألا وهى تليف الكبد Liver Cirrhosis والتى تتميز بتصلب وتضخم الكبد والطحال، وارتفاع فى كمية البيلروبين والجلوبوبولوين فى الدم، وانخفاض فى كمية الألبومين فى الدم، واعراض اخرى كثيرة قد تؤدى الى فشل الكبد ونزيف فى الامعاء والمعدة، وتغيرات فى تجلط الدم.

٢ - البنكرياس :

تدل الاحصائيات على ان حوالى ٥٠٪ من حالات التهاب البنكرياس تكون بسبب استعمال الكحول. وذلك ناتج عن ان تعاطى الكحول بكثرة يقلل من كمية افرازات البنكرياس ويزيد من لزوجتها، كذلك فهو يسبب انسداد القنوات البنكرياسية بترسبات بروتينية مما يؤدى الى التهاب البنكرياس Pancreatitis والذى من أعراضه: آلام فى البطن وتقيؤ وحمى، وانخفاض فى ضغط الدم.

٣ - القناة الهضمية :

من المعروف ان الكحول مهيج لغشاء المعدة، وقد يسبب التهابا حادا فى المعدة Gastritis متميزا بغثيان وقيء وألم وعسر هضم، وقد لوحظ انه فى الحالات المزمنة من هذا الالتهاب يتم فقد الجزء الغدى من الغشاء المخاطى المبطن لجدار المعدة.

واستمرار القيء قد يؤدى احيانا الى تمزق فى جدار المريء مما يحتاج الى تعديل جراحي.

بالاضافة الى تأثير الكحول على المعدة فهو كذلك يسبب اضرارا كثيرة

للجزء الأسفل من القناة الهضمية.

٣ - القلب:

لقد كان الاعتقاد السائد مسبقا ان امراض القلب المصاحبة للادمان على الكحول ناجمة من سوء التغذية الملازمة لذلك، ولكن اثبت الباحثون مؤخرًا أن تعاطى الكحول له تأثير سام مباشر على عضلة القلب مما يؤدي الى تغيرات في التركيب البنائى لعضلة القلب بسبب ترسبات دهنية والتهابات وتليف في الفراغات التى بين الخلايا، مما ينتج عنه نقص في مرونة عضلة القلب. فالاعراض المصاحبة لهذه الحالة تبدو على هيئة صعوبة في التنفس، وارتفاع في ضغط الدم، وزيادة في النبض، بالاضافة الى انواع مختلفة من اختلالات نظم القلب Arrhythmias مع تقدم المرض يتضخم القلب بشكل ملحوظ، كذلك فقد تتكون بعض الجلطات الدموية داخل القلب وربما يحصل فشل قلب احتقانى Congestive Heart Failure مع تورم الأرجل، واستسقاء في التجويف البطني.

النوع الآخر من الامراض التى يسببها الكحول للقلب تكون على هيئة اختلال في قدرة عضلة القلب التوصيلية؛ أي القدرة على توصيل النبضات خلال التركيبات المختلفة لعضلة القلب، وذلك ناتج عن التأثير المعروف للكحول على توازن الالكترونيات في الجسم. وهذا التأثير قد يكون خطيراً للغاية لأنه ربما يؤدي الى نوبة قلبية مفاجئة.

كذلك هناك انواع اخرى من امراض القلب تنتج عن نقص مادة الثيامين Thiamine والذي غالبا ما يوجد لدى المدمنين على الكحول.

٤ - الجهاز العصبي:

ان امراض الاعصاب الطرفية هي احدى الحالات الشائعة لدى المدمنين على الكحول، وتبدو اعراضها على هيئة خدور وآلام في الساقين والذراعين مصحوبة بضعف القدرة على الحركة مما ينتج عنه صعوبة المقطرة على المشي.

والسبب الرئيسى لهذه الحالة هو نقص مادة الثيامين كذلك، فان نقص هذه المادة يؤثر على العصب البصرى ويسبب حالة العمش Amblyopia هناك ايضا تأثير للادمان على المخ مباشرة وهى حالة تعرف باسم Wernicke Encephalopathy، وهى ناتجة عن نقص مادة الثيامين مما يسبب ضرراً نزيهياً في المخ. وهذه الحالة تسبب عدم قدرة المصاب على التحريك المتزامن للعينين سواء افقياً او رأسياً او ما يسمى Ophthalmoplegia هذه الحالة دائما توجد ملازمة لحالة مرضية اخرى تسمى Korsakoff Psychosis، وهى مرض يظهر على هيئة تعطل في الذاكرة بالاضافة الى اضرار اخرى على الجهاز العصبى يصعب تفصيلها هنا.

٥ - الدم:

ان الكحول يتداخل في عملية تكوين الدم على مختلف مراحلها مما ينتج عنه انواع من فقر الدم ، واختلالات في عملية تجلط الدم وهذا - إلى جانب كبير - يعود كما اسلفنا إلى التأثير على امتصاص فيتامينات ب ٦ ، ب ١٢ والفوليت إلى جانب عنصر الحديد

٦ - السرطان:

هناك دلائل كثيرة تشير الى ان هناك علاقة كبيرة بين الادمان على الكحول وزيادة نسبة الاصابة بسرطان الحنجرة والمريء والكبد.

علاج المدمن على الكحول

التقييم المبدي:

ان التقييم المبدي لعلاج المدمن على الكحول يجب ان يلبى احتياجات المريض وان يحقق ثلاثة اشياء مهمة. اولاً: يجب تكوين علاقة بين المريض والطبيب تعتمد على تفهم واضح للمشكلة، وان هناك حالة ادمان على الكحول، وان الطبيب مهم للمساعدة في علاج هذه الحالة. ثانياً: يجب تقييم درجة الادمان على الكحول والمشاكل الغذائية والصحية المترتبة على ذلك، ثم يتم بعد ذلك اعداد خطة عمل عامة لعلاج الحالة.

لمعرفة ما إذا كانت هناك حالات تتطلب عناية مستعجلة فإنه يجب الحصول على تاريخ الحالة، وكذلك الفحص المباشر للمريض كما يتم عادة في أي حالة علاجية أخرى. والشائع ان المريض المتقدم في حالة الادمان يصعب الحصول منه مباشرة على تاريخ الحالة لذا يجب الحصول على ذلك من احد افراد العائلة، أو من أحد الاصدقاء المقربين المدركين لتاريخ الحالة. كذلك يجب الاستبيان من تاريخ الحالة عن حدوث أية إصابات، ومعرفة ما اذا كان هناك أي نوع من العلاج المستعمل من قبل المريض سواء بصفة مستمرة أو فقط في الفترة السابقة للعلاج مباشرة، كذلك معرفة ما إذا كانت هناك أعراض حساسية من أي نوع. وتجدر الاشارة إلى أنه من الأهمية بمكان معرفة ما إذا كان المريض قد تعرض مسبقاً لحدوث أي نوع من نوبات الصرع أو التشنجات لأنه من المحتمل حدوث نوبات صرع عند هؤلاء الأشخاص عندما يتم سحبهم من الكحول، ومعرفة ذلك تجعل الطبيب يبدأ معهم علاجاً مضاداً للصرع كعقار الفينيتوين مثلاً Phenytoin بالنسبة للأشخاص الذين يبدو من الفحص المبدي أنهم بحالة مرضية متقدمة، وكذلك عندهم حالة تسمم بالكحول، وغير متعاونين في الإجراءات التشخيصية فان حالتهم تتطلب بعض الفحوص الأخرى لتحديد مدى السرعة التي يجب بها اتخاذ الإجراء العلاجي، وتحديد درجة

الأعراض الانسحابية التي يتوقعها الطبيب عند البدء في تنفيذ العلاج حيث ان شخصا يتعاطي الكحول منذ سنوات طويلة يتوقع ان تكون الأعراض الانسحابية لديه أشد من شخص حديث في تعاطي الكحول. هذه الفحوص المباشرة للمريض تتكون من العلامات الحيوية، ودرجة الوعي والقدرة على الحركة، والإنعكاسات ودرجة الاحساس في الأطراف والرأس والرقبة، والكشف عن وجود أية إصابات في الرأس، وفحص الصدر للكشف عن الالتهابات وكفاءة التنفس، وفحص القلب لمعرفة معدل ضربات القلب وانتظامها، وفحص البطن للكشف عن أية شكاوى إن غالبية الوفيات في حالة الادمان الحاد تكون نتيجة إصابات الرأس أو الالتهابات، أو اختلالات نظم القلب، أو التهاب البنكرياس، أو عدم كفاية العلاج للأعراض الانسحابية للكحول

طرق السيطرة والعلاج للأعراض الانسحابية:

تعرف الأعراض الانسحابية للكحول بأنها حالة تهيج للجهاز العصبي المركزي نتيجة التوقف الحاد والمفاجيء لتعاطي الكحول بعد الاستمرار عليه مدة اسبوعين او اكثر.

أهم مظاهر هذه الأعراض الانسحابية هي حدوث تهيج وزيادة نشاط الجهاز العصبي التلقائي System Autonomic Nervous مما ينتج عنه تعرق شديد وزيادة في دقات القلب وارتعاشات في الاطراف. تبدأ هذه الاعراض بعد حوالي ٦ - ٢٤ ساعة من التوقف عن تعاطي الكحول وتصل ذروتها في خلال ٧٢ - ٩٦ ساعة، ثم بعد ذلك تبدأ تدريجيا في الزوال، وإن وجود حالات الحمى أو بعض الأمراض الالتهابية الحادة الأخرى تؤدي إلى زيادة حدة هذه الأعراض وسرعة ظهورها

إن أشد مظاهر الاعراض الانسحابية هي الهلوسة وحالة الهذيان الازتعاشي Delerium Tremens وقد تحدث بين اليومين الثاني والخامس من الاقلاع عن تعاطي الكحول، وهذه الحالة تصل نسبة الوفاة فيها الى ٢٠٪ ولكن باتباع اسلوب علاجي ناجح ومبكر لهذه الاعراض الانسحابية فان ذلك يمكن

تقليله كثيراً.

إن هناك أعراضاً وعلامات مميزة يمكن على ضوءها تقسيم الأعراض الانسحابية للكحول الى أربع مراحل:

١ - المرحلة البسيطة:

وهذه تتميز بظهور بعض التهيج البسيط على المريض وقيامه ببعض الحركات غير الضرورية، كذلك فإن دقات القلب لديه تزداد بمعدل حوالى ٢٠ ضربة في الدقيقة.

٢ - المرحلة المتوسطة:

في هذه المرحلة تكون درجة التهيج لدى المريض أكثر من المرحلة السابقة، ودقات القلب تزداد بين ٢٠- إلى ٥٠ ضربة في الدقيقة، كذلك فإنه ربما تكون هناك صعوبة في إبقاء المريض على السرير، ثم حدوث نوبات بسيطة من فقدان الانتباه وعدم القدرة على التركيز، وكذلك ظهور بعض الارتعاشات اللاارادية.

٣ - المرحلة الشديدة :

وهذه تتميز بظهور هلوسة من النوعين: السمعي والبصري، وكذلك حدوث حالات فزع وخوف من غير سبب، والحساسية المفرطة لأي نوع من الضجة، وحالة هيجان شديدة، وزيادة معدل دقات القلب بحوالى ٥٠ ضربة في الدقيقة او أكثر، بالإضافة الى زيادة في حركة العضلات وتقرق شديد.

٤ - المرحلة الشديدة جداً:

هذه تتميز بظهور جميع الأعراض المذكورة في المرحلة السابقة ولكن بدرجة أكثر حدة، وزيادة شديدة في دقات القلب، وتقرق شديد جداً، وظهور بعض التشنجات.

ان معرفة وتشخيص المرحلة الأولى من هذه الأعراض تساعد على عملية العلاج المبكر لمنع وصول المريض إلى المراحل المتقدمة من الأعراض.

كذلك فالوضع المحيط بالمرضى والذي يتم فيه علاجه من الإدمان على الكحول يعد عاملاً مهماً جداً في تحديد درجة الأعراض الانسحابية، ونجاح العلاج يحتاج إلى إيجاد وسط يساعد على تهدئة المريض مثل: احاطته بأشياء تعود عليه وأشياء لا تسبب له الاثارة أو تخيفه، فمثلاً يمكن القيام بعملية العلاج في المنزل إذا وجدت العائلة المتفهمة والمتعاونة بشرط عدم ظهور أية حالات من التهيح أو التشنجات، أو وجود أمراض التهابية أخرى تحتاج لعناية داخل المستشفى.

انه من الغالب ان معظم المرضى سيشعرون بتحس اذا رافقت هذه العملية الحرجة "وهي سحب الكحول" بعض الادوية الاخرى التي تخفف من وطأة الأعراض الانسحابية، ولكن يجب التركيز في ان يكون استعمال هذه الادوية بصفة مؤقتة ويتم سحبها هي الاخرى بعد تخطى المريض للمرحلة الصعبة، كذلك فانه من الملاحظ خلال هذه المرحلة ان معظم المرضى سوف يشعرون باضطراب في النوم بالاضافة الى حالات القلق والاكتئاب النفسى في الايام الاولى من المعالجة.

بصورة عامة، فان الفيتامينات، والمضادات للحموضة، والمضادات للإسهال، والمسكنات الخفيفة بالاضافة الى المهدئات والمطمئنات كلها ربما تستعمل في هذه المرحلة العلاجية، ومن الملاحظ ان معظم الاشخاص المدمنين على الكحول تكون لديهم كمية زائدة من الماء في الجسم، أي انهم Overhydrated مع زيادة كمية الصوديوم في الجسم لذلك فانه من النادر الاحتياج الى اعطاء محاليل وريدية بالنسبة للغذاء فانه يجب اعطاء المريض ثلاث إلى خمس وجبات يومياً، واذا رُفِضَتْ يجب تشجيع المريض على تناول بعض السوائل المحتوية على سكر أو عصير الفواكه، كذلك يجب منع المريض من الإكثار من شرب الشاي أو القهوة لما لها من تأثير منه

كذلك فانه من المعروف اهمية اعطاء مادة الثيامين 100 ملجم Thiamine 100mg ومادة حمض الفوليك 5 ملجم Folic Acid 5 mg عن طريق الحقن

كذلك يستحسن اعطاء كامل الفيتامينات على هيئة كبسولات يومية.
من ضمن الادوية المهدئة او المطمئنة التي تستعمل في علاج الاعراض
الانسحابية للكحول مايلي:

(١) كلورديا زيبوكسايد ١٠٠ ملجم 100mg Chlordizepoxide

(٢) ديازيبام ١٠ ملجم 10mg Diazepam

(٣) هايدروكسازين ١٠٠ ملجم 100mg Hydroxazine

وهذه الادوية الثلاثة هي المفضلة والشائعة لهذا الاستعمال.

(٤) كلوربرومازين ٥٠ ملجم 50mg Chlorpromazine

ومن ضمن التأثيرات الجانبية لهذا العقار هو احداث انخفاض في ضغط
الدم وبعض التقلصات.

(٥) بينتاباربيتال ١٠٠ ملجم 100mg Pentobarbital

(٦) فينو باربيتال ١٠٠ ملجم 100mg Phenobarbital

(٧) بارالدهايد ١٥ ملجم 15mg Paraldehyde

(٨) كلورال هيدريت ١ جرام 1g Chloal Hydrate

وهذه الادوية الأربعة الاخيرة كلها تسبب تأثيرا جانبيا غير مرغوب فيه ألا
وهو تثبيط التنفس بالاضافة الى ان البارالدهايد له رائحة كريهة جدا.

إن السمة المميزة لعلاج الادمان على الكحول هي التفاوت في الحالات،
فبينما بعض الحالات لا تحتاج فقط سوى عملية تطمين نفسي ورفع معنوية
المريض بدون الحاجة إلى استعمال أية أدوية تذكر نجد أن هناك حالات أخرى
شديدة لدرجة الاحتياج لحوالي ٢ جرام من مادة الكلور ديازيبوكسايد في الأربع
والعشرين ساعة الأولى (أي حوالي ستة أضعاف الجرعة العادية وهي ٣٠٠ ملجم
يومية) ، لذلك فان تقرير الجرعة اللازمة للمريض لا يتم إلا بواسطة المشاهدة
الدقيقة للاستجابة على مدى وقت معين

ومعظم الوحدات الطبية المتخصصة في علاج الإدمان على الكحول تفضل
استعمال عقار الكلورديازيبوكسايد لقلة اضراره وطول مفعوله حيث أنه بعد
الحصول على التهدئة المبدئية للمريض لا يحتاج الأمر إلى اعطاء عقار آخر

في بعض الحالات النادرة وعندما يشتبه بوجود اصابة في الرأس فانه ربما يفضل استعمال عقار آخر مثل الكلورال هيدريت لغرض عدم التأثير على وعي المريض في هذه الحالات، ولكن يجب مراقبة هذا النوع من المرضى بعناية. بالنسبة للمرضى الذين يتضح من اخذ تاريخ الحالة لديهم انهم كانوا يعانون في السابق من نوبات صرع فانه من المستحب بدؤهم مباشرة على عقار الفينيتوين Phenytoin بجرعة مقدارها ٣٠٠ ملجم يوميا ولمدة خمسة ايام. ويلاحظ ان المرضى الذين يتم علاجهم من الادمان على الكحول بواسطة عقار الديازيبام لا يحتاجون لعقار الفينيتوين لعلاج الصرع وذلك لأن الديازيبام له تأثير مضاد للصرع ايضا.

لقد تم اثبات ان فترة الانسحاب من الكحول قد تمتد الى مدة تصل الى ثلاثة شهور بواسطة التحليل النفسي وتخطيط المخ Eeg ولكن الاعراض الخطيرة منها تحدث خلال الاسبوع الاول لذلك فانه غالبا ليس هناك حاجة لاستمرار الادوية المهدئة لأكثر من الاسبوع الأول

وعندما يبدأ المريض في التحسن فإن التركيز يبدأ على الجانب الآخر ألا وهو البداية في رفع المعنوية والتخطيط للمراحل المقبلة والتعود على اسلوب حياة جديدة. وعادة فان المريض يكون في حالة مكتئبة في هذه المرحلة وبحاجة الى المساعدة النفسية وايضاح دوره في اصلاح نفسه بالاقلاع التام عن تعاطي الكحول وعدم العودة له مرة اخرى.

هذه الفترة مهمة وحساسة جدا حيث إن هناك عدداً كبيراً من المرضى بعد بذل جهد كبير في علاجهم، وازالة سمية الكحول منهم، ومعالجة جميع الاعراض الانسحابية في الوحدات والمستشفيات الخاصة بذلك فانه بعد فترة تختلف من مريض الى آخر يعودون تدريجياً لتعاطي الكحول.

لا شك ان الإرادة والعزم والتصميم على عدم العودة الى تعاطي الكحول هي الركيزة الاساسية التي يعتمد عليها نجاح العلاج وعودة معظم اعضاء الجسم التي تأثرت بالكحول لمزاولة وظائفها الطبيعية، ولكن عند عدم تواجد او اختلال هذه الإرادة فان العلاج الطبي يستطيع ان يساهم في هذه المرحلة

هذه المساهمة تتمثل في عقار يسمى (Disulfiram Antabuse) والذي يتناوله يمنع المريض من الإقدام على تعاطي الكحول بسبب الاعراض الشديدة والمرهقة التي تحدث للمريض لو اقدم على تعاطي الكحول بعدها. قصة اكتشاف هذا النوع من العلاج شيقة وربما تستحق الذكر هنا. في عام ١٩٣٧م طبع احد العلماء ويدعى Williams بحثا في مجلة الجمعية الطبية الامريكية اشار فيه الى حدوث اعراض حساسية عند تعاطي الكحول من قبل عمال احد المصانع الذين يتعرضون لأحد مشتقات مركب الداى سلفايد وهو مركب Tetramethylthiiram Disulfide وفوق ذلك فقد اقترح هذا العالم، انه ربما يستفاد من هذا الاكتشاف لعلاج حالات الادمان على الكحول، ولكن بحثه هذا مضى دون ان يعار جانبا كبيرا من الاهتمام، كذلك فان المشتق الآخر لهذا المركب وهو عقار الداى سلفرام نفسه كان يستعمل في صناعة المطاط كإداة مضادة للتأكسد، وقد لوحظ ايضا ان العمال المتعرضين لهذه المادة تحصل لهم ايضا اعراض حساسية عند تعاطي الكحول، ولم تصدر الابحاث اكلينيكية عن هذا الموضوع وقد حدث ان كان هناك طبيبان دائمركيان قد تناولوا عقار الداى سلفرام تطوعا في احد الابحاث التي كانت تجرى لمعرفة مدى تأثيره العلاجي كإداة طاردة للديدان، ثم حدث انهما تعاطيا الكحول ووقعا مصابين باعراض مرضية شديدة جعلتهما يشعران بأن السبب في ذلك هو تلك المادة، وبعد ذلك قاما باجراء سلسلة كبيرة من التجارب على حيوانات المعامل وتجارب اكلينيكية أدت في النهاية الى ترسية قواعد استعمال هذا العقار في علاج الادمان على الكحول. وقام هذان العالمان ويدعيان Hald & Jacobsen بطباعة نتائج ابحاثهما في عام ١٩٤٨م فعندما يتم تناول عقار الداى سلفرام لوحده فإنه-تقريبا-لا يحدث أى تأثير على الجسم، ولكن هذا العقار يؤثر كثيرا على عملية الهدم البنائي Metabolism للكحول.

فعندما يتم تناول ولو كمية قليلة من الكحول بعد تعاطي عقار الداى سلفرام فان تركيز مادة الاسيتالدهايد Acetaldehyde في الدم - وهي المادة

الوسيطه التي يتحول لها الكحول عند تحلله في الجسم - يرتفع الى حوالى عشر مرات قدر الكمية العادية لو انه لم يتم تناول هذا العقار، وهذا تصاحبه أعراض مرضية شديدة ومميزة تسمى Acetaldehyde Syndrome وتميز: بأنه خلال ٥ - ١٠ دقائق من تعاطى الكحول يحصل احمرار وسخونة شديدة في الوجه، ونتيجة لانتشار عملية توسع الاوعية الدموية فانه يلى ذلك احساس بنبضات شديدة في الرأس والرقبة مع صداع شديد مصحوب بضيق في التنفس، وزيادة في دقات القلب ، وغثيان وقئ شديدين، وتعرق وألم في الصدر ، وانخفاض شديد في ضغط الدم ، وضعف عام واضطراب في البصر ويتحول احمرار الوجه بعد ذلك إلى شحوب في اللون ، وضغط الدم قد ينخفض لدرجة حدوث اغماء

هذه الاعراض المرهقة جدا تبقى لفترة تتراوح بين ٣٠ دقيقة الى عدة ساعات ثم تزول بعد ذلك، وقد تم اثبات: ان جميع هذه الاعراض التي تحدث عند تعاطى الكحول وعقار الداى سلفرام معا ناتجة بالفعل عن تراكم مادة الاستيتالدهايد في الدم ، حيث تم احداث هذه الاعراض في حيوانات المعامل والانسان بواسطة حقن مادة الاستيتالدهيد في الدم مباشرة.

عند تعاطى الكحول بمفرده فانه لا يحصل تراكم لمادة الاستيتالدهايد في الدم، حيث انه بعد تأكسد الكحول في الدم الى مادة الاستيتالدهايد فان احد انزيمات الكبد ويسمى Aldehyde Dehydro Genase يقوم بأكسدة الاستيتالدهايد مباشرة بعد تكونه في الدم لذلك لا يحدث له تأثير سميّ خلافاً لما يحصل عند تعاطى عقار الداى سلفرام والذي يؤثر على هذا الانزيم ويمنع تأكسد الاستيتالدهايد مما يسبب تراكمه في الدم وظهور الاعراض السميّة المذكورة سابقا.

إن عقار الداى سلفرام هذا يعد حاجزا كيميائيا ضد العوده لتعاطى الكحول مرة اخرى، لذلك فان استعماله في السنة او السنتين الأوليين بعد علاج الاعراض الانسحابية للكحول يكون مفيدا في حالة الاشخاص غير الواصلين تماما من عدم العوده الى تعاطى الكحول.

وتخلص الجسم من عقار الداى سلفرام يتم ببطء لذلك فان الاعراض السمية المذكورة سابقا تحدث عند تعاطى الكحول ولو بعد التوقف عن اخذ الداى سلفرام لمدة خمسة ايام.

وعند وصف هذا العقار للمريض فانه يتم-عادة-تعاطيه على شكل قرص واحد يومياً يحتوي على ٥٠٠ ملجم من العقار لمدة اسبوع تقريباً ثم تخفض بعد ذلك الجرعة الى ٢٥٠ ملجم يومياً، هناك حالتان يجب فيهما عدم استعمال هذا العقار وهما وجود حساسية ضد هذا العقار، و اختلال عقلى يحول بين ادراك المريض للدور العلاجي لهذا العقار،. وهناك حالات نسبية يمنع فيها استعمال العقار مثل: امراض تصلب الشرايين القلبية،والذئبة الصدرية، او اى امراض خطيرة، وكذلك عند وجود الحمل، او تعاطى عقارات اخرى تتعارض مع هذا العقار كبعض مضادات تجلط الدم مثلاً.

مما تقدم يتبين لنا ان للكحول اضراراً كبيرة على الجسم، وان علاج حالات الادمان على الكحول يحتاج الى جهد واصرار وتعاون من قبل الطبيب والمريض على حد سواء.

وختاماً يجب علينا جميعاً ان نتوجه بالشكر لله سبحانه وتعالى أن هدانا الى دين حرم علينا شرب الخمر اتقاءً لهذه الاضرار.

المراجع

- 1) Baum, R. & Iber, F.L. (1980). Initial treatment of The alcoholic Patient In : Alcoholism. A Practical treatment guide. Gitlow & Peyser (eds.). PP. 73 – 88. Grune & stratton (Publishers, New York)
- 2) Becker, C.E. (1969). Pharmacotherapy in the treatment of alcoholism. In : the diagnosis and treatment of alcoholism. Mendetson & Mello (eds.) PP. 283 -- 304. Macgraw Hill (Publishers, New York)
- 3) Jaffe, J.H. (1975), Drug addiction and drug abuse. In : the Pharmacological Basis & Therapeutics. Goodman & Gilman (eds.) PP. 284 – 324 Macmillan (Publishers, New York)
- 4) Korsten, M.A & Lieber, C.S. (1979). Hepatic and g astro intestinal complications of alcoholism. In : The diagnosis and treatment of alcoholism. Mendelson & Mello (eds.) PP. 19 – 58. Mcgraw hill (Publishers New York)
- 5) Ritchie, J.M. (1975). The aliphatic alcohols. In : The Pharmacological Basis of Therapeutics. Goodman & Gilman (eds.). PP. 137 – 151. Macmillan (Publishers, New york)
- 6) Seixas, F.A. (1980). The medical complications of alcoholism. In : Alcoholism. Apractical treatmant guide. Gitlow & Peyser (eds.). PP 165 – 180. Grune & Stratton (Publishers) New York
- 7) Wallace, J, (1978). Critical issues in alcoholism therapy. In : Practecal approaches to alcoholism Psychotherapy. zimperg, Wallace & Blume (eds) PP. 31 – 46 Plenum press (Publishers, New York)

هيئة الندوة

- ١ - الدكتور / فريد جلال المهتمدى - استاذ مشارك قسم العقاقير
كلية الصيدلة - جامعة الملك سعود
- ٢ - الدكتور / محمد عبد الرحمن إسماعيل - رئيس قسم علم النفس
كلية التربية - جامعة الملك سعود
- ٣ - الدكتور / عطا الخالدى - استاذ مشارك قسم علم النفس
كلية التربية - جامعة الملك سعود
- ٤ - الدكتور / عبد الهادى الجوهري - رئيس قسم الاجتماع
الدكتور / محمود أبو زيد - مساعد قسم الاجتماع
كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- ٥ - الدكتور / عبد الله الركبان - استاذ الفقه
كلية الشريعة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- ٦ - الدكتور / عبد الرحمن عبد الله المطرفي - استاذ مساعد قسم الأدوية
كلية الطب - جامعة الملك سعود



المطابع الأملية - اللاهوت
الطبعة الأولى - ١٩٥٤